# بنو سليم فى إفريقية وصلاتهم بالدولة والمجتمع

# منذ القرن الخامس الهجرى وحتى القرن التاسع الهجرى

دكتور

صلاح خليل إبراهيم سلام

أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

كلية الآداب – جامعة حلوان

# الملخص العربى

يتناول هذا البحث رصد تاريخ بنى سليم فى إفريقية وصلاتهم بالدولة والمجتمع على إمتداد حوالى أربعة قرون من الزمان .

أسفرت الدراسة عن العديد من النتائج أهمها أن قبيلة بنى سليم كانت أكثر القبائل العربية التى هاجرت إلى بلاد المغرب ، ثم تلتها قبيلة بنى هلال التى حازت الشهرة التاريخية والشعبية .

وأثبتت الدراسة نجاح بنو سليم فى تأسيس ثلاث إمارات سليمية فى إفريقية . واتضح من خلال الدراسة أن علاقة بنى سليم مع القبائل العربية ، أخذت وجوهاً متعددة ، وقد لعبت الزوايا ومجتمعات بنى سليم دوراً هاماً فى رأب صدع الخلافات القبلية العربية .

كذلك تبين أن الانتشار العربى ببلاد المغرب أدى إلى إعادة هيكلة النظام العقارى ، وإعادة توزيع أراضى الدولة ؛ وقد تعددت إسهاماتهم فى مجال الزراعة والصناعة والتجارة . وأثبتت الدراسة دورهم فى خلخلة البناء الإجتماعى نتيجة اختلاطهم بالبربر حتى أن العديد من قبائل البربر تجرى فى عروقهم الدماء العربية . كما أوضحت الدراسة أن قبيلة بنى سليم لعبت دوراً هاماً فى تعريب البربر . خلاصة القول ؛ أن أعراب بنى سليم فى المغرب قاموا بدور ملحوظ فى تاريخه – إن سلباً أو إيجاباً – فى المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

## Abstract

### Bani Salim in Africa and relationship with the state and society

### Since the fifth century AH and until the ninth century AH

**Research includes the study of the history of Beni Saleem in Africa and their relationships with the state and society along about four centuries.**

**The study resulted in several results , one of the most important results that the tribe of Bani Salim was the most Arab tribes that migrated to the country of Maghreb, and then followed by the tribe of Bani Helal which have earned the historic and popular fame . The study proved their success in establishing three emirates Salimia in Africa.**

**The study revealed that the relation of the tribe of Bani Salim with other arabic tribes took multiple faces . Communities of Bani Salim had played an important role in ending the Arab tribal differences .**

**It shows that also the arabic prevalence in Maghreb led to the restructuring of Real Estate System and redistribution of lands of the State . They had numerous contributions in the field of agriculture, industry and trade . The study proved their role in the disturbance of social construction as a result of mixing with Berbers .**

**The study also showed that Bani Salim in Maghreb had marked role in its history - positively or negatively - in political, economic, social and cultural fields.**

يتناول هذا البحث رصد تاريخ بنى سليم فى إفريقية وصلاتهم بالدولة والمجتمع على إمتداد حوالى أربعة قرون من الزمان.

أجمع الدارسون على تعريف هجرة القبائل العربية إلى بلاد المغرب منذ القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى بالهجرة الهلالية. هذا فضلاً عن إظهار دور بنى هلال فى مختلف مناحى الحياة المغربية، مع إغفال دور بنى سليم. وكان ذلك دافعاً للبحث لإلقاء الضوء عن دور بنى سليم فى إفريقية؛ ذلك الدور الذى همشه المؤرخون.

ينقسم البحث إلى تمهيد عن الهجرة الهلالية، وأربع محاور: المحور الأول: يتناول التعريف بقبائل بنى سليم، ومناطق إستقرارهم. المحور الثانى: يتناول علاقة بنى سليم مع القبائل العربية الأخرى. المحور الثالث: يتناول علاقة بنى سليم بالكيانات السياسية التى كانت تسيطر على إفريقية. المحور الرابع: تناولت فيه دور قبائل بنى سليم الحضارى.

## تمهيد: الهجرة الهلالية

شهدت بلاد المغرب أواخر النصف الأول من القرن ٥ هـ / منتصف القرن ١١ م حدثاً بارزاً عميق الأثر وهو الهجرة الهلالية، إنطلاقاً من مصر إلى بلاد المغرب. وكان لها تأثيرات عرقية وسياسية وإقتصادية و حضارية. وقد تحدثت المصادر التاريخية عن هذه الهجرة فإعتبرتها زحف جراد وكارثة حلت بالبلاد، فطمست معالم الحضارة ببلاد المغرب (١) .

إستقى هذا الموقف جذوره من المؤرخين والأدباء المعاصرين للحدث خاصة الشاعر والمؤرخ الرسمى الزيرى ابن شرف القيروانى، ومؤرخ زيرى آخر هو أمية ابن أبى الصلت وانتهاءاً برواية الأمير الصنهاجى عز الدين عبد العزيز بن شداد حفيد المعز بن باديس(٢). أما المصادر الأخرى التى تحدثت عن الهجرة الهلالية فإنها

جاءت متأخرة، فالإدريسى إهتم بمواطن القبائل العربية وإنتشارها فى بلاد المغرب، ولا تخلو رواياته من تحامل على هذه القبائل التى ساهمت فى التصدى للغزو النورمانى لإفريقية. ويبدو أن ذلك يرجع إلى أن الإدريسى قد كتب نزهة المشتاق فى بلاط النورمان بصقلية(٣)، أما المشرقيان ابن الأثير والنويرى فقد تعرضا للأعراب عموماً عند مشاركتهم فى الصراعات ضد النورمان والموحدين(٤).

أشارت المصادر الموحدية الحفصية بفروسية القبائل العربية، رغم أنها لم تختلف كثيراً عن سابقتها فى النظرة إلى الأعراب المعارضين للدولة. فقد تحامل ابن عذارى على هذه القبائل(٥). أما التجانى فيتضح من خلال رواياته أنه أقل تحاملاً على الأعراب(٦). أما ابن خلدون فقد عبر عن مواقف متباينة لأهل عصره تجاه القبائل العربية، لا تخلو من الإعجاب تارة حيث أشاد ببأسهم، وعلو أخلاقهم، والإدانة تارة أخرى حيث وصفهم بوحشية لا مثيل لها(٧).

يتضح من قراءة روايات المؤرخين لهذه الهجرة الهلالية، إختلافها وتضاربها حول تاريخ تحرك هذه القبائل العربية لبلاد المغرب، إذ تشير بعض النصوص أن الهجرة تمت فى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م(٨) وسنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م (٩) وسنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩(١٠) وسنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م(١١) وسنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م (١٢). وبإستقراء المصادر المختلفة، يمكن القول أن بداية الهجرة الهلالية كانت سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ففى هذه السنة بلغ إرتفاع الماء فى نهرالنيل ١٥,٢٠ ذراعاً وهو إنخفاض كبير، الأمر الذى إنعكس سلباً على الوضع الإقتصادى والإجتماعى والديموجرافى فى مصر وقتذاك (١٣).

بديهى أن تحاول الدولة الفاطمية الإستفادة سياسياً من هذه الهجرة. فقد خضع إنتشار القبائل لخطة مسبقة، منحت الدولة بموجبها إقطاعات للقبائل. يؤيد ذلك رواية لإبن خلدون أشار فيها إلى أن الوزير الفاطمى أبو محمد الحسن بن على اليازورى أشار على الخليفة المستنصر باصطناع القبائل العربية وتوليتهم أعمال إفريقية،

وإحلالهم محل أمراء صنهاجة بالقيروان (١٤)، خاصة بعد قطع الصلات السياسية والمذهبية بين الدولة الفاطمية والدولة الصنهاجية بقيام المعز بن باديس بقطع الخطبة للخليفة الفاطمى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م. ونبذ شعار الفاطميين ولبس السواد شعار العباسيين سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م والدعاء للخليفة العباسى القائم بأمر الله. والأهم من ذلك هو امتناع المعز بن باديس عن دفع الأموال السنوية لخلفاء القاهرة (١٥) .

تجدر الإشارة إلى أن أهل برقة حذوا حذو المعز بن باديس، فخلعوا طاعة الفاطميين، فقد أرسل أميرها جبارة بن مختار العربى سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م إلى المعز يخبره بالدخول فى طاعته، وأنهم يتبرءون من الفاطميين وأنهم دعوا للخليفة العباسى (١٦) .

يتضح من خلال النصوص، أن الدولة الفاطمية كانت عاجزة عن تجييش الجيوش لتأديب بنى زيرى، ومن ثم استقر رأى الفاطميين على دفع القبائل العربية من مصر عبر النيل إلى المغرب، ولضرب خصمين بعضهما ببعض: ضرب الزيريين المتمردين بالقبائل العربية القوية الشكيمة والتى أكثرت الفساد فى صعيد مصر والبحيرة وبرقة للتخلص منهم. وينسب للمستنصر قوله: "والله لأرمينه بجيوش لا أتحمل فيها مشقة" (١٧).

إرتبطت الهجرة الهلالية بتدهور الحالة الإقتصادية والتدهور الديموجرافى فى مصر، وزادت المجاعات المتتابعة تفاقم الحالة سوءاً. ولسنا فى حاجة إلى أن نبحث غريزة حب الحياة وبين الفناء الذى يصاحب المجاعات (١٨). وبالتالى، فإن قرار القبائل العربية والمتأثرة بنتائج المجاعة بالهجرة إلى بلاد المغرب كان أكثر فاعلية من قرار رد الفعل الفاطمى على قرار المعز بن باديس الذى قطع ولاءه للفاطميين. فكان الجوع أهم عامل فى دفع القبائل العربية إلى الهجرة كما تبرزه هذه العبارة "وقال لهم: قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجى العبد الآبق فلا تفتقرون"(١٩). وإذا دققنا النظر فى هذه الرواية فإننا نجد أن الدولة الفاطمية

استخدمت طريقة الإغراء المادى والمعنوى للقبائل العربية لإستثارة نزعة الرياسة والمقاتلة الغالبة فيهم من ناحية والغنيمة من ناحية أخرى. فكان من الطبيعى تحت عوامل الترغيب والطرد الإختيارى والفقر والجوع أن تستجيب القبائل العربية للهجرة. ويتضح من خلال المصادر، أنهم لم يعتنقوا مذهباً أو عقيدة، ولا دافعوا عن المذهب الشيعى الفاطمى فى المغرب، وكان هدفهم البحث عن مصادر الرزق (٢٠).

حققت القبائل العربية نجاحاً كبيراً، فإجتاحت مدينة برقة سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م (٢١). ولكن هذه الهجرة التى شجعها الفاطميون تبعتها هجرات أخرى (٢٢). واستغلت الدولة الفاطمية هذه الفرصة، فبعد أن كانت تدفع لكل رجل يعبر النيل إلى المغرب ديناراً، صارت تأخذ منهم ضريبة مقدارها دينارين، فأخذت منهم أضعاف ما دفعوه (٢٣) .

أول ما تجدر الإشارة إليه، أن هذه القبائل العربية تجاهلت مصالح الدولة الفاطمية التى أوفدتهم للإيقاع بالمعز بن باديس صاحب إفريقية، وبدأت تسير وفق مصالحها. وهو ما سنعرض له فى موضعه فى البحث (٢٤) .

مجمل القول، أن الدولة الفاطمية استطاعت تهجير القبائل العربية من مصر إلى بلاد المغرب تحت ظروف سياسية وإقتصادية وإجتماعية قاسية .

## المحور الأول: التعريف بقبائل بنى سليم ومناطق استقرارها .

إن أول ما يجب أن نبتدىء به هو طرح السؤال التالى: لماذا غلب اسم بنى هلال على العرب الذين غزوا بلاد المغرب؟ وهم جموع القبائل العربية المتحالفة، وقد شاركهم بنو سليم، ولم يكونوا أقل منهم عدداً وأهون شأناً، بل لعلهم كانوا أمنع جانباً وأبعد صوتاً، كما أنه قد إنخرط فى مجموع هذه القبائل بطون من قبائل لا تشترك معها فى القربى(٢٥). أكثر المؤرخون من هذا التساؤل، فمنهم من يرى أن اسم بنى

هلال غلب عليهم جميعاً لأنهم كانوا أوغل فى البداوة وأعنف من بنى سليم فى إهانة الناس وإنزال الضرر بهم(٢٦)، ومنهم من يرى أن هذا الإسم قد شاع وحفر له موضعاً بارزاً فى الذاكرة لسهولة تردده على الألسنة والإيضاح له بمرحلة من مراحل القمر، وما فى ذلك من علاقة وثيقة بالتوقيت المتصل بشئون الدين والدنيا(٢٧)، وهناك من المؤرخين من يرى استئثار بنى هلال بالشهرة المتأخرة (٢٨). كذلك يؤكد ابن خلدون، أن إنطواء القبائل العربية تحت لواء بنى هلال منذ بداية الهجرة، أسفر عن تعميم اسم بنى هلال على مجموع هذه القبائل إذ يقول: "لأن الرياسة كانت عند دخولهم للأثبج وهلال فأدخلوا فيهم وصاروا مندرجين فى جملتهم"(٢٩).

تلك هى نظرة جل المؤرخين. ومهمتنا التصدى لتلك النظرة، لإثبات أن بنى سليم كانوا العنصر العربى الغالب فى مصر، وفى الهجرة إلى بلاد المغرب. ثم نثنى بعد ذلك بالتعريف بأهم قبائل بنى سليم ومواطنهم فى إفريقية .

الثابت أن قبيلة بنى سليم فى مصر كانت تمثل غالبية العرب الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية إلى مصر، خاصة فى عصر الدولة الفاطمية. فابن خلدون يذكر أن بنى سليم نزحوا إلى مصر منذ عهد العزيز بالله الفاطمى، فاستوطنوا بالصعيد والمناطق الشرقية لنهر النيل. لكن الحال تغير حيث تزايدت أعدادهم فى عهد المستنصر بالله الفاطمى حتى زاحموا بنى هلال. ومن ثم أضطر بنو هلال للهجرة إلى بلاد المغرب. فى ذات الوقت إنطلقت قبيلة بنى سليم فى إثرهم، وهو ما يدعونا إلى الربط بين نزوح بنى قرة الهلالية إلى الإسكندرية والبحيرة وبرقة وبين تزايد أعداد بنى سليم فى مصر. فبرزت قبيلة هلال فى مستهل الهجرة الهلالية وإحتلت الصدارة باحتكاك بعض بطونها من بنى قرة ورياح بالمعز بن باديس (٣٠) .

استناداً إلى المصادر ومن خلال الرصد الدقيق للهجرة الهلالية. يتضح لنا تعاظم قوة بنى سليم، يؤيد ذلك عدة أدلة: الأول: ما ذكره ابن خلدون والمقريزى أن القبائل العربية تصارعوا على البلاد أول قيامهم بتغريبتهم وقسموها على أساس

الشعبين الكبيرين اللذين تتألف منهما سائر قبائلهم، وهما سليم وهلال "وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب" (٣١). ولما غربت جموعهم بقيت منهم بقية فى برقة أغلبها من سليم وأحلافها رواحة وناصره وعمره. وأغلب الظن، أن قوة بنى سليم قد دفعت قبيلة بنى هلال إلى النزوح غرباً، فاستقر بعضهم فى تونس ونزحت أغلب بطونهم إلى الغرب فى أقاليم المغربين الأوسط والأقصى. الثانى: أن قبيلة بنى هلال كانت على صلات ودية بالدولة الزيرية مما دعاها إلى التجمع فى أرياض الحواضر الزيرية، ولكن المهادنة بين الطرفين لم تكن لتستمر طويلاً على الرغم من إحسانه إليهم. وليس يعقل أن يتجهوا إلى الشرق إلى برقة وهم يعلمون أن قبيلة بنى سليم المهيمنة عليها يحسب لها ألف حساب. الثالث: أن المروية الشفوية كان لها دور فى إبراز أن القبيلة الهلالية هى أهم القبائل العربية التى أرست دعائم العنصر العربى فى بلاد المغرب (٣٢)، وتقول روزلين ليلى قريش وهى تقدم سيرة بنى هلال: "ماهم إلا أجداد لأغلب أبناء وطننا"(٣٣). الرابع: مما هو ثابت أن ابن خلدون كان منحازاً إلى جانب قبيلة رياح الهلالية فنزل على زعيمها يعقوب بن على المناهض للسلطان إبى العباس أحمد الحفصى ( ٧٨٠ – ٨٠٤ هـ / ١٣٧٠–١٣٩٤م )، وفى سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٠ م شدَ الرحلة إلى أطراف الزاب مع قبيلة رياح، وهو ما إنعكس على رواياته حيث أولى إهتماماً بالرواية الهلالية (٣٤) .

الخامس: أن أعظم الدول التى قامت فى بلاد المغرب كان مؤسسوها يدعون الإنتساب إلى بنى سليم. إذ يذكر ابن الأثير أن محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين إنتسب إلى بنى سليم (٣٥). كما جرى إنتساب على بن إسحق الميورقى إلى بنى سليم أيضاً. وهو ما يأتى شاهداً على مدى الوعى السياسى والعسكرى لإبن تومرت والميورقى بأن قبيلة بنى سليم كانت أهم القبائل العربية فى بلاد المغرب، ومن ثم حاولا كسب ودهم بالإنتساب إليهم.

السادس: مما ينهض دليلاً على كثرة بنى سليم فى بلاد المغرب أنهم أخذوا

يعودون إلى مصر بعد بضعة قرون فى موجات متوالية. وأن هجرتهم فى القرن ١٢هـ / ١٨م تعد من أكبر الهجرات العربية التى وفدت إلى مصر من طريق الغرب حتى ملأوا الصحراء الغربية وبعض جهات من وادى النيل، و إلى الآن ينتسب معظم العرب الساكنين على الساحل غرب الإسكندرية إلى قبيلة بنى سليم (٣٦) .

نخلص من ذلك؛ بأن قبيلة بنى سليم كانت أكثر القبائل العربية التى هاجرت إلى بلاد المغرب، ثم تلتها قبيلة بنى هلال التى حازت الشهرة التاريخية والشعبية حسب الروايات التاريخية التى عممت إطلاق تسمية "الهلاليين" على مجموع القبائل العربية التى تدافعت فى إتجاه المغرب .

لعل من المفيد الإشارة إلى أن بنى سُلَيْم وبنى هلال معاً من قَيْس عَيْلان بن مضر، حيث يجتمعان فى منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام (٣٧) .

أما بالنسبة لقبائل بنى سليم فى افريقية. فقد إنقسموا – كغيرهم من القبائل الأخرى – إلى بطون وأفخاذ وعشائر، منها بنى عوف بنى بهثة ابن سليم وديارهم بالمغرب فيما بين قابس والجريد جنوباً إلى حد بونة شمالاً. وينقسمون إلى بطنين: مرداس وعلاق (٣٨).

الكعوب: ونزلوا بساحة القيروان والجريد سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م، وإنفردوا بالرئاسة على قبائل عوف، ومن أهم بطونهم أولاد أبى الليل، وأولاد مهلهل (٣٩) .

بنو حصن بن علاق. ومنهم بنو حكيما الذين نزلوا سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ببلاد الساحل بين سوسة والجم، ومن حكيم أولاد جابر، و نمير، و وائل (٤٠) .

بنو على: نزلوا بساحل إفريقية سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م. وفى القرن ٨ هـ/ ١٤م إمتدت منازلهم من الجم إلى قصر مباركة شمال قابس، و قد مثل بنو حجرى النواة النشيطة داخل هذه القبيلة، منتجعين فى الشريط الساحلى الممتد من شمال قابس إلى

مشارف مدينة تونس. أما سائر بطون بنى على فقد ركنوا إلى الإستقرار بين الجم وصفاقس (٤١).

ينسب إلى بنى سليم أيضاً قبيلة ذباب ويتفرع منها بطون عدة:

أ – أولاد أحمد: ومواطنهم غربى قابس وطرابلس إلى برقة، فضلاً عن بعض البطون التى إستقرت بين قابس وتوزر (٤٢) .

ب – بنو يزيد: وقد شاركوا أولاد أحمد فى مواطنهم. وبنو يزيد أربعة أفخاذ هى الصهبة والحمارنة والخرجة والأصابعة (٤٣) .

ج – أولاد وشاح بن عامر بن دباب: و كانت لهم رئاسة دباب، وينقسمون إلى بطنين كبيرين المحاميد والجوارى. وموطنهم ما بين قابس ونفوسة (٤٤).

د – النوائل: أولاد نائل بن عامر، وأخوتهم أولاد سنان ومنازلهم شمالى قابس، ومنطقة غافق بجوار طرابلس (٤٥) .

هـ – ثمة بطون أخرى من دباب: نذكر منها آل سليمان، وكانت مواطنهم قبلة غريان، وآل سالم بن هيب، "وهم أمم لا يحصون فيما بين طرابلس وبرقة" وأهم بطونهم العمائم والأحامد والعلاونة وأولاد مرزوق، وكانوا نازلين بين مسراتة ولبدة ومسلاتة. أما الناصرة، فمواطنهم بلاد فزان وودان (٤٦). هذا فضلاً عن بطون أخرى منهمبنى زغب بن مالك، الذين نزلوا فى جوار إخوانهم بنى دباب (٤٧).

**المحور الثانى :علاقة بنى سليم مع القبائل العربية الأخرى .**

سنعرض لعلاقة بنى سليم مع القبائل العربية من خلال الصراع أو التحالف بينهم وبين الكيانات السياسية المسيطرة على إفريقية ببلاد المغرب، سواء كان سياسياً أو إقتصادياً أو إجتماعياً. كما أفضت إغارات النورمان على سواحل إفريقية إلى إقامة تحالفات بين بنى سليم والقبائل العربية لدرء الخطر الخارجى. وكثيراً ما كان العامل الإقتصادى هو العامل الفاعل فى توجيه تلك العلاقات.

ولا غرو؛ فقد إتخذت قبيلة بنى سليم والقبائل العربية الأخرى عقود الإقطاع التى منحهم إياها الخليفة الفاطمى المستنصر ذريعة للاستيلاء على المغرب الأدنى وأفريقية، ثم إنسابوا إلى المغربين الأوسط والأقصى (٤٨).

بزغ التحالف بين بنى سليم والقبائل العربية بعد أن قام أمين الدولة الفاطمية الحسن بن على بن ملهم العقيلى بتسوية الخلافات بين كافة أفراد تلك القبائل، ودفع ديات القتلى فى مختلف الأنحاء قبل إرسال هذه القبائل للقضاء على الدولة الصنهاجية(٤٩). ويتبادر إلى الذهن تساؤل: هل إستمر هذا التحالف قائماً بين القبائل العربية؟

معلوم أن الصراع بين القبائل العربية كان مألوفاً. فمنذ بداية الغزوة برزت المظاهر الدالة على الشقاق بين قبيلة بنى هلال وقبيلة بنى سليم بسبب الخلاف على إقتسام البلاد التى إستولوا عليها بشهادة ابن خلدون إذ يقول: "فطمعت العرب إذ ذاك وأجازو النيل إلى برقة ونزلوا بها وإفتتحوا أمصارها وإستباحوها ..وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب" (٥٠).

نجم عن هذا التقسيم، إعادة صياغة العلاقات بين بنى سليم وبين القبائل العربية الأخرى خاصة بنى هلال. إذ أدى هذا التقسيم إلى عقد إتفاقيات و تحالفات عربية من أجل الهيمنة على بلاد المغرب. ليس أدل على ذلك من قيام تحالف بين بنى سليم ورواحة وناصرة وعمرة وإستقرارهم فى إقليم برقة. وفى المقابل كان حلف بنى هلال الذى ضم باقى القبائل العربية التى شاركت فى الغزوة الهلالية الذين توجهوا إلى إفريقية ولم يدخروا وسعاً فى تخريب البلاد التى مروا بها. وثمة إشارة هامة أوردها ابن خلدون، وتتعلق بما آلت إليه العلاقات بينهما. إذ إستهدف الطرفان أرباض حواضر المعز بن باديس حتى كانت معركة حيدران سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥٢ م التى إنتهت بهزيمة المعز. ثم كانت معركة القيروان التى حاصرها العرب وخربوا ما حولها من الضواحى حتى فرَّ أَهلها إلى تونس (٥١).

أفضت الإجتياحات العربية لإفريقية من قبل بنى سليم وهلال عن إعادة صياغة مناطق النفوذ والسيادة لكلا الشعبين. فمنذ سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٥ م إقتسمت البلاد، فكان لزغبة طرابلس وقابس، ولمرداس بن رياح باجة والقيروان. ثم إقتسموا البلاد ثانية، فكان لهلال من تونس إلى الغرب، وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة ، وفى المقابل نزلت سليم بجهة الشرق (٥٢) .

إبتداء من تلك الحقبة، دخلت هذه القبائل فى تحالفات متعددة مع أمراء دويلات الطوائف بالمهدية وصفاقس وقلعة بنى حماد، مما أسفر عن ظهور قوتين متنافستين: الأولى تكونها رياح وزغبة متحالفة مع سلطة الزيريين بالمهدية. والثانية تضم الأثبج وعدى المتحالفين مع الحماديين.

تعددت المواجهات بين القوتين بين سنتى ٤٥٥ و ٤٦٠ هـ، إذ عمدت السلطة الزيرية إلى تأجيج الخلاف بين القبائل العربية. ومن جهة أخرى؛ وعلى الرغم من الصراع بين القوتين فإن الواقع التاريخى لا ينفى وجود حالات من السلم والموادعة فى بعض الأحيان. لذلك يمكن القول أن جدلية الحرب والسلم سببتها طبيعة العلاقات وأنماط العيش والعلاقة المتوترة مع الإمارات القائمة فى بلاد المغرب، وعلى الرغم من ندرة الإشارات المرجعية حول مظاهر التعاون بين قبيلة بنى سليم والقبائل العربية الأخرى، فإن صيرورة الأحداث تؤكد وجود نوع من الإتفاقيات أو المهادنات العرفية، فقد وجد بعض الدلائل للمصالحة ووضع حد لهذه الخلافات القبلية، وكان أجلاها إرسال الدولة الفاطمية الأمير حسن بن على بن ملهم إلى إفريقية ليصلح بين هذه القبائل سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٥٤م، وما يهمنا أن الأمير حسن قام بفض النزاعات بين بنى سليم وبنى قرة وسوى الخلافات بين كافة أفراد القبائل العربية (٥٣) .

يخيل إلينا أن هذه المساعى التى قام بها الأمير حسن نجحت فى الحد من الإختلافات القبلية، حيث تآزرت هذه القبائل فى صد العدو المشترك وانتصرت عليه فى موقعة سبيبة سنة ٤٥٧هـ / ١٠٥٦ م. وتمكن العرب على إثر ذلك من إكتساح

البلاد الغربية، حتى أن الأمير المنصور بن المنتصر الحمادى صالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من حبوب. كما ظلوا منتفعين بالإقطاع إلى حين قدوم عبد المؤمن بن على الموحدى الذى "أزال ذلك من أيديهم، وصيرهم جنداً له، وأقطع رؤساءهم بعض تلك البلاد" (٥٤).

أسهمت الحروب فى تأصيل مبدأ القوة، وأصبح بالتالى هو المنطق السائد فى الهيمنة وإنتزاع المدن والأقاليم الهامة. ومن ثم فإن القبيلة تشرع الغزو للحصول على المكاسب المادية، لكن ذلك كله كان محكوماً بجملة من الضوابط فالشجاعة البدوية والقوة العددية كانت تمثل الوسائل الأكثر نجاحاً فى عملية الغزو للمجموعة القبلية، ومن ثم تشرع القبيلة فى التحالف مع القبائل الأشد التحاماً معها فى النسب لتأمين المعاش والحفاظ على موازين القوى؛ لذلك أصبح الغزو فى المجتمع القبلى وسيلة مشروعة. ففى سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٦م تحالفت قبيلة بنى سليم مع القبائل الأخرى فى حصار المهدية واضطر صاحبها على بن يحيى إلى توقيع الصلح مع العرب (٥٥).

مما يذكى الإحساس بضرورة إقامة تحالفات بين بنى سليم ومختلف المجموعات القبلية الأخرى، أن هذه التحالفات إستهدفت مواجهة الخطر الخارجى. وفى هذا الإطار يؤكد ابن خلدون دور المكان – أى الأرض – فى التحام القبائل الداخلى لمواجهة الخطر الخارجى الذى يهدد إستمرار وجودها (٥٦)، وهذا ما دفع قبيلة بنى سليم والقبائل العربية – بالرغم من سوء العلاقات بينها وبين الأمراء الزيريين – إلى المشاركة فى التصدى لغزوات الروم على مدن ساحل إفريقية. ففى سنة ٥١٧هـ / ١١٢٢م كان للقبائل العربية دور هام فى الهزيمة التى ألحقت بأسطول وجيش روجر الثانى صاحب جزيرة صقلية فى جزيرة الأحاسى وحصن الديماس قرب المهدية (٥٧). كذلك ظهرت وحدة القبائل العربية فى سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م عندما تعرضت مدينة طرابلس لهجوم قوات روجر، حيث لم يدخر العرب وسعاً لنجدة أهلها

من بنى سليم (٥٨). كذلك لم يتقاعس العرب عن مؤازرة بعضهم البعض فى التصدى لروجر عندما حاول الإستيلاء على قلعة إقليبية (٥٩) .

لايمكن الحديث عن العلاقات القبلية تلك دون الحديث عن "ميعاد" بنى سليم. والميعاد مجلس عام لأعيان القبيلة، أو لأعيان مجموعة من القبائل تنبثق منه مجموعة من القرارات الخاصة بالجانب الأمنى، ويقرر عمليات الإغارة، ويحسم الخلافات بين الفصائل وينظر فى العلاقة مع القبائل المجاورة. كما يتولى الميعاد إدارة مختلف أوجه الحياة الإقتصادية. ويعتبر ميعاد وادران فى الخط الفاصل بين ناحية صفاقس وقابس أهم مواعيد القبائل السليمية، وكان الميعاد ملتقى سنوياً لها عند نزولها إلى مشاتيها بالصحراء (٦٠) .

أول ما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد، أن سلطان الموحدين عبد المؤمن بن على تمكن من السيطرة على بجاية وقلعة بنى حماد. حتى أصبح خطراً على القبائل الهلالية النازلة فى شرق الجزائر التى رفضت الخضوع لسلطان الموحدين، ولعل ذلك يفسر توجههم نحو الشرق للإجتماع فى ميعاد بنى سليم للنظر فى أمر مواجهته.

جدير بالذكر؛ أن هذا الميعاد عقد فى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م حسبما ذكر ابن الأثير، وأن جل القبائل العربية قد حضرت هذا الميعاد إذ يقول: "أن العرب وهم بنو هلال والأثبج وعدى ورياح وزعب وغيرهم من العرب لما ملك عبد المؤمن بلاد بنى حماد إجتمعوا من أرض طرابلس إلى أقصى المغرب وقالوا إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب وليس الرأى إلا اللقاء معه وأخذه بالجد وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن، وتحالفوا على التعاون والتظافر " (٦١). ومن ثم سار عبد المؤمن بن على لمباغتة العرب، فكانت معركة سطيف التى إنتهت بهزيمة العرب(٦٢). وعلى إثر ذلك دانت سواحل إفريقية إلى حد طرابلس لسلطان عبد المؤمن، أما القبائل العربية فقد إنسحبت إلى القيروان. وإعتمد الموحدون نفس الخطة المتبعة فى معركة سطيف، وهى المباغتة على حين غرة، حيث وقعت الحرب بين الطرفين سنة

٥٥٦هـ/ ١١٦١م وإنتهت بهزيمة القبائل العربية للمرة الثانية. وتعتبر هذه المعركة بداية خضوع العرب لسلطة الموحدين (٦٣).

على كل حال، فما يعنينا أن هذا التعاون والتحالف بين القبائل العربية يدل على مدى فطنتهم إلى خطر الموحدين الذى أسفر عن تقليص نفوذهم السياسى والإقتصادى. ونلاحظ أيضاً؛ أن عبد المؤمن نهج سياسة التفريق بين القبائل العربية، عن طريق النقل القسرى لبعضها إلى المغرب الأقصى والأندلس، فحمل ألفا من كل بطن (٦٤). كما نجح عن طريق الترغيب والترهيب فى دفع فرسان العرب إلى الجهاد فى الأندلس، حتى أن عدد الفرسان منهم بلغ خمسين ألفاً سنة ٦٢١هـ/١٢٢٣م(٦٥).

ساهمت هذه السياسة ليس فقط فى تفكيك عرى التجمع القبلى العربى، بل فى إفراغ البلاد من عدد كبير العرب خاصة بنى هلال، وفتح باب الهجرة إلى الغرب أمام قبائل بنى سليم (٦٦). غير أن بنى سليم لم تفقد توجهها السياسى، ومن ثم لم يكفوا عن إثارة النزعات العصبية العربية للتخلص من السلطة الموحدية. وإتخذ هذا التحالف شكل العصيان، مثال ذلك الحلف بين رياح ودباب، وتحالفهما مع القائد الأرمنى قراقوش، على الرغم من إختلاف الأصول الإثنية (٦٧) .

تكون حلف آخر ضم كل القبائل العربية، بإستثناء قبيلة زغبة التى إنحازت إلى الموحدين. وقد إرتبط هذا الحلف بحركة بنى غانية (٥٨٠ – ٦٣٠هـ / ١١٨٤– ١٢٣٤ م). أما بنو سليم فقد تمكنوا من إكتساح خط قابس، غير أن الخليفة المنصور الموحدى تمكن من هزيمتة سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧ م (٦٨). لذلك لم يستمر هذا الحلف طويلاً، ففى سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م قتل قراقوش الغزى شيوخ بنى سليم السبعين بقصر العروسين. وهو أمر أدى إلى تمزق تحالف بنى سليم مع قراقوش. ومن جهة أخرى إصطدم ببنى غانية الذين أوقفوا توسع الأخير فى إتجاه بلاد الجريد وذلك بمؤازرة قبيلة دباب السليمية. وزاد الطين بلة تخلى ابن غانية عن هذا الحلف بعد إحتلاله قابس سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م .

على أن بنى سليم حرصوا على التحالف مع قبيلة بنى رياح، لدرء خطر ابن غانية الذى إستفحل أمره من ناحية، وتطاول قراقوش على شيوخ بنى سليم من ناحية أخرى. وقد دعم هذا الحلف ثورة محمد بن عبد الكريم الرجراجى ضد بنى غانية(٦٩). كذلك نجح فى السيطرة على مناطق زراعية شاسعة إمتدت إلى تلمسان. وهذا يفسر لماذا إنضم محمد بن غازى حاكم المهدية المرابطى لهذا الحلف العربى. وإزاء تفاقم هذا الخطر جهز الخليفة الموحدى محمد الناصر جيشاً، تمكن به من هزيمة محمد بن الغازى وعرب بنى رياح وبنى سليم سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م (٧٠).

ما يهمنا أن هذه الحقبة مثلت منعرجاً هاماً فى العلاقات القبلية العربية، فقد حاول الموحدون القضاء على هذا الحلف العربى بالتخلص من قبائل رياح التى كانت تناصبها العداء عن طريق إغراء بنى سليم للتقدم من جنوب البلاد إلى وسطها وشمالها .

أما عن إقدام بنى سليم إلى عقد محالفات مع القبائل العربية الأخرى ضد بنى حفص الذين نجحوا فى تأسيس دولتهم سنة ٦٧٥ هـ / ١١٧٩ م الموالية للموحدين. فمنها الحلف الذى ضم بعض بطون بنى سليم مثل دباب وزغب وبعض بنى عوف وشريد؛ فضلاً عن قبائل الدواودة الهلالية، وتحالفت هذه القبائل مع بنى غانية. لكن أبا محمد عبد الواحد بن أبى حفص الموحدى تمكن من التغلب على هذا الحلف فى جبل نفوسة سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٦ م ومن غنم نحو ١٨٠٠ من الدواب وحدها، وكانت الخسائر البشرية كبيرة، حيث قتل وجوه رياح ورؤساؤها (٧١) .

لعل فى إستمرارية تكوين الأحلاف القبلية العربية، وما تبعها من إزدياد الضغط على الدولة الحفصية، إنتهاج أبو محمد عبد الواحد على سياسة فرق تسد. فقد قرب قبيلة بنى عوف السليمية، وفى ذات الوقت أجج النزاع بين قبيلة رياح وبنى عوف، وانتهت الحرب بينهما بتغلب بنى عوف السليمية سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م وطرد الهلالية من إفريقية (٧٢) .

تلك هى ضربة البداية للقضاء على التحالفات القبلية العربية، وبداية الإنتشار السليمى الذى حظى بموافقة الدولة الموحدية. فملكوا ضواحى قسنطينة والزاب وورجلان وما وراءها من القفار من بلاد القبلة. فيما نزل الكعوب ومرداس من بنى سليم بضواحى البلاد الشرقية الممتدة من قابس إلى تونس وبونة. كما يمكن القول أن إستقدام بنى سليم كان بمثابة النهاية لدور الهلالية السياسى بشرق إفريقية (٧٣) .

إن المتأمل فى علاقات بنى سليم ببنى هلال والقبائل العربية يجد أن الدولة الحفصية نجحت فى الوقيعة بين بنى سليم و بنى هلال، ثم فرقت بين عوف ومرداس من بنى سليم . ومنذ مطلع القرن ٨هـ / ١٤ م، أججت النزاع بين أولاد أبى الليل وأولاد مهلهل فرعى كعب من بنى سليم (٧٤).

من الظواهر الدالة على طبيعة تلك الأحلاف؛ هو إقترانها بظاهرة الزوايا؛ ففضلاً عن المفهوم التقليدى بإعتبارها مراكز ثقافية، كانت الزوايا تضم الصلحاء من الأعراب الذين تابوا عن الحرابة وبدأوا الإندماج فى النظام السياسى والإجتماعى، مثال على ذلك: زاوية أولاد سهيل وهم من العمور من بنى سليم. ويتضح من خلال النصوص أن الزاوية كانت ملاذاً للفارين، فضلاً عن كونها محطات هامة للمسافرين للتزود بالمؤن والتصدى للمعتدين، مما يؤكد دورها الإجتماعى والسياسى، ولذا لا غرابة فى الحديث عن قيام هذه الزاوية بدور فعال فى تحالف العمور مع قبائل الجوارى والمحاميد (٧٥) .

كما ذكرنا فإن الزاوية لم تكن طرفاً محايداً فقط وإنما تفاعلت مع الصراعات المختلفة فى خضم النزاعات الداخلية التى إجتاحت بلاد المغرب، ومن ثم كانت الزاوية أشبه بالحصن، فيها تحول الصلحاء إلى فرسان ومقاتلين. وهذا ما يبرز الجانب العسكرى للزاوية التى كانت حريصة على حماية مصالحها بكل الطرق. يؤيد ذلك رواية للتجانى إذ يذكر أن زاوية أولاد سنان أخوة الوشاحين والنوائل، لعبت دوراً هاماً فى إخضاع البربر وإجبارهم على دفع الإتاوات؛ فضلاً عن دورها الهام فى

تجميع القبائل العربية، ويمكن أن نتبين ذلك من رواية للتجانى الذى زار هذه الزاوية أثناء رحلته إذ يقول: "وهناك مجمع العرب" (٧٦).

عموماً فإن هذه الظاهرة إمتدت حتى القرن ٩ هـ / ١٥ م. ويمكن أن نتبين العلاقة الوثيقة بين الزوايا السليمية والتحالفات القبلية العربية، ونجاحها فى إحلال السلام محل الصراع. فقد لعبت زاوية أبى يوسف يعقوب الزّعبى بالعلويين بجهة القيروان دوراً بارزاً فى إخضاع الأعراب "فكان يذب عن الناس فى زروعهم وغيرها، مسموع الكلام عند عرب أفريقية وغيرها" وفى ظل هذا النفوذ الواسع لزاوية الزعبى أصبحت لأبى يوسف هيمنة على الأعراب. كما تمكن من توسيع ثروته حتى أنه خصص مطمورة تسع ٣٠٠ قفيز أعطى منها لفقرائه ولبنى دباب الذين جاؤوا من غرب طرابلس بحثاً عن الطعام فى إحدى السنوات العجاف فى بداية القرن ٩هـ/١٥م. وقد سلم رئاسة مشيخة العلويين لإبن أخيه عامر بن محمد الزغبى الذى سار على نهج عمه فى العطاء، والتوفيق بين الأعراب (٧٧) .

حصاد ما سبق يدل على طبيعة علاقات بنى سليم بالقبائل العربية، إذ نلحظ حرص بنى سليم على إقامة علاقات ودية مع كافة القبائل العربية، فقد تحالفوا مع بنى تميم الذين نزلوا بتاجورة شرق طرابلس، وظل هذا التحالف قائماً بين القبيلتين منذ الهجرة الهلالية حتى تحول هؤلاء إلى أنموذج للعلاقات الودية للقبائل العربية (٧٨).

خلاصة القول؛ أن علاقة بنى سليم مع القبائل العربية الأخرى، أخذت وجوهاً متعددة، وأن سياسة التفريق بين القبائل العربية التى إتبعتها الدول المتعاقبة على بلاد المغرب كان لها دور فعال فى إحداث التوتر بين بنى سليم والقبائل العربية، الأمر الذى حفز شيوخ الزوايا إلى محاولة تخفيفه؛ بل كثيراً ما نجحوا فى تحويل الصراع إلى وئام. وفى ظل ذلك لعبت الزوايا ومجامع بنى سليم دوراً هاماً فى رأب صدع الخلافات القبلية العربية .

**المحور الثالث: علاقة بنى سليم مع الكيانات السياسية فى إفريقية وبلاد المغرب .**

إقترنت العلاقات بين بنى سليم والكيانات السياسية التى توالت على حكم إفريقية وبلاد المغرب، بقوة بنى سليم العسكرية. إذ لعبوا دوراً هاماً على الصعيد السياسى والعسكرى. وما يعنينا الآن إثبات دور بنى سليم فى الصراع بين هذه الكيانات السياسية من ناحية، وتأسيس كيانات كبرى أو صغرى أخذت تظهر على مسرح التاريخ المغربى منذ ذلك التاريخ من ناحية أخرى. وننوه بأننا سنعول على المعالم الكبرى دون الإهتمام بالتفصيلات .

العلاقة مع الدولة الصنهاجية:

يستشف من خلال المصادر أن بنى سليم بذلوا جهوداً غير هينة، فى سبيل فرض أنفسهم كقوة يرهب جانبها فى بلاد المغرب، خاصة وأن الدولة الصنهاجية أصبحت فريسة سهلة فى يد كل طامع من العرب والبربر، فظهرت إمارات مستقلة تأرجح ولاؤها بين بنى باديس فى المهدية، وبنى حماد فى القلعة وبجاية. وقد تجلى دور بنى سليم العدائى للدولة الصنهاجية فى مشاركتهم القبائل العربية منذ بداية التغريبة الهلالية لغزو دولة المعز بن باديس. ومما ينهض دليلاً على ذلك تحالف بنو سليم مع بنى هلال والعرب، وخوضهم معارك عديدة ضدها. نذكر منها موقعة حيدران سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م التى إنتهت بهزيمة المعز بن باديس وفراره إلى القيروان مدحوراً. وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون بنى هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر .. حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين "(٧٩). ويشير أيضاً أن رئاسة بنى سليم كانت لرافع بن حماد من الكعوب بقوله: "عند دخولهم إفريقية لعهد هذا المعز وبنيه لرافع بن حماد وعنده راية جده التى حضر بها مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو جد بنى كعب"؛ وفى رواية أخرى "ولما تزاحف الفريقان – العرب والبربر فى حيدران – كانت الهزيمة

على المعز وفر بنفسه وخاصته إلى القيروان" (٨٠). ووصف ابن شرف تلك الهزيمة بـ "الداهية العظمى والمصيبة الكبرى" (٨١) .

إستمر الصراع بين المعز و بنى سليم حتى سقطت القيروان فى أيدى العرب سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م . ونجم عن ذلك فرار المعز إلى المهدية. ولا يخفى ما فعله العرب من تخريب القيروان، وقد أفاضت المصادر فى تفصيل هذا الخراب بما يغنى عن سرد مظاهره (٨٢). كذلك لعب بنو سليم دوراً بارزاً فى مساندة تميم بن المعز(٤٥٣هـ – ٥٠١ هـ) فى حروبه ضد حمو بن مليل صاحب صفاقس. ونجم عن ذلك إستيلاء تميم على صفاقس سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م (٨٣) .

تعاظمت قوة بنى سليم العسكرية، ومن ثم صاروا الركيزة الأساسية فى جيش تميم بن المعز، وعلى سبيل المثال فقد شاركوه فى محاصرة قابس التى إنتزى بها قاضى بن محمد الصنهاجى حين تداعت دولة المعز. وظلوا يضيقون الخناق عليها حتى إستردها تميم سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٨ م (٨٤) .

على إثر تدهور أحوال دولة المعز؛ نجح بنو سليم فى تأسيس ثلاث إمارات فى إفريقية. فأصبح بنو جامع حكاماً على قابس. أما بنو الرند، فقد حكموا قفصة وبلاد الجريد. أما الكعوب فحكموا سوسة.

أما بنو جامع؛ فقد أسفر مشاركة بنى سليم فى إسترجاع قابس حسبما أسلفنا، عن فوزهم بحكمها. فى حين ينسب المؤرخون بنى جامع إلى بنى هلال وهو ما ينم عن خطأ فادح (٨٥). لذلك نذكر بعض القرائن التى تؤكد إنتساب بنى جامع لبنى سليم. وهو ماعبر عنه ابن خلدون بقوله: "وملك بنى عوف – من بنى سليم – سائر ضواحى إفريقية ... واختص بالولاية منهم أولاد جامع .." (٨٦). وقد أكد أيضاً على هذا النسب بقوله: "فجاء بمرداس وعلاق وهما بنو عوف بن سليم هؤلاء من بطونهم بنواحى السواحل وقابس واصطنعهم، ورياسة مرداس يومئذ فى أولاد جامع". ومنها

كذلك أن التجانى ينسب بنى جامع إلى بنى على (٨٧)، وقد أسلفنا القول أن بنى على من بطون قبيلة بنى سليم. كل هذا يؤكد إنتساب بنى جامع لبنى سليم .

على كل حال ولى مكى بن كامل بن جامع حكم قابس، وينم ذلك عن ضعف تميم بن المعز، وما يعنينا أن العلاقات قد ساءت بين الطرفين، وأول ما نلاحظه فى هذا الصدد؛ مؤازرة مكى بن كامل للمثنى فى ثورته على أبيه تميم، فصارت قابس ملجأ للمثنى، كذلك آزره مكى فى حصار المهدية مستهدفاً الإطاحة بحكم تميم بن المعز. وبإختصار فقد تدهورت العلاقات بين تميم ومكى حتى توفى الأخير. ثم وليها من بعده إبنه رافع الذى ظل على علاقات ودية مع يحيى بن تميم (٥٠١ – ٥٠٩ هـ / ١١٠٧ – ١١١٥ م) (٨٨). وبعد تولى على بن يحيى بن تميم (٥٠٩ – ٥١٥ هـ / ١١١٥ – ١١٢١م) ساءت العلاقات بينه وبين رافع، ولسنا بحاجة لسرد أخبار الصراع بين على بن يحيى ورافع. وبفضل وساطة جماعة من العرب، أبرم على مع رافع معاهدة الصلح التى وضعت حداً لخلافهما. ثم ولى حكم قابس الأمير رشيد بن كامل بعد وفاة رافع، وولى من بعده ابنه محمد بن رشيد، وكان آخر من ملكها من بنى جامع أخوه مدافع بن رشيد بن كامل الذى سلم قابس للموحدين (٨٩).

أما بالنسبة لقفصة وبلاد الجريد، فمنذ إرتحل المعز من القيروان إلى المهدية، كان بقفصة عامل لصنهاجة هو عبد الله بن محمد بن الرند فضبط أمور قفصة وصالح العرب على الإتاوة، وبعد معركة حيدران إستقل ابن الرند بقفصة وبايعته توزر وقفصة وسوس والحامة وسائر أعمال قسنطينة. وقد توفى سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٤م وولى بعده إبنه المعتز، ثم ولى قفصة يحيى بن تميم بن المعز، وظل الحال على ما هو عليه إلى أن فتح الموحدون قفصة سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩ م (٩٠).

على إثر تدهور أحوال دولة بنى زيرى بإفريقية؛ نجح بنو العابد من بنى سليم فى تأسيس إمارة سليمية فى قفصة. و قد آلت إليهم أمور قفصة قبيل دخول الموحدين، وإذا كان من الإنصاف أن نؤكد أن بنى العابد كانوا من أقوى العصبيات

فى مدينة قفصة، فإن تحالف بنى الشريد من بطون سليم معهم زاد من قوتهم. يقول ابن خلدون عن نزولهم بقفصة: "والله أعلم بأولية نزولهم بقفصة حتى التحموا بأهلها وانتظموا أمر بيوتها" (٩١) .

أما إمارة الكعوب فى سوسة، فقد تمكنت قبيلة الكعوب من بنى سليم فى عهد عهد تميم بن المعز سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م من الإستيلاء على سوسة وإعلان إنفصلالهم عن دولة بنى زيرى. واستقرت الإمارة فى بنى كعب؛ حتى آل حكمها إلى جبارة بن كامل بن سرحان بن إبى العنين الفادعى؛ وفى عهده تمكن روجر الثانى ملك صقلية من الإستيلاء على سوسة سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨ م. أما جبارة فقد لجأ وبرفقته بعض شيوخ الكعوب إلى عبد المؤمن بن على الموحدى الذى تمكن من تخليص سوسة من قبضة روجر سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م. واستعمل الموحدون عليها حافظاً من الموحدين يعرف بعبد الحق بن علناس الكومى. وأسفر عن ذلك انقراض أمر هذه الإمارة (٩٢).

أما عن علاقات بنى سليم مع بنى حماد؛ فقد تحددت وفق مصالح بنى سليم الذين شكلوا معول هدم للدولة الصنهاجية. فقد رأى الناصر بن علناس بن حماد (٤٥٤هـ / ٤٨١ هـ) ما حل بدولة أبناء عمومته الزيريين، وما ظهر من إزدياد نفوذ بنى سليم. ولدرء خطرهم، حاول وضع حد لإنهيار دولته، إذ حالف قبيلة الأثبج وعدى من بنى هلال، بالإضافة إلى الصنهاجيين، للإستيلاء على المهدية. فلما علم تميم بن المعز بذلك حالف بنى سليم وزغبة ورياح. وما يعنينا أن اللقاء تم بين المتحاربين سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥ م فى سهل سبيبة الواقع بين القيروان وتبسة، ومُنِىَ الناصر بهزيمة نكراء. وغنم بنو سليم والعرب جميع ما كان فى معسكر بنى حماد (٩٣) .

فتحت هذه المعركة الباب واسعاً أمام بنو سليم والعرب لتملك البلاد وإزدياد قوتهم العسكرية والإقتصادية. يؤيد ذلك رواية لإبن الأثير إذ يقول: "وبهذه الوقعة تم للعرب مُلْك البلاد، فإنهم قدموها فى ضيق وفقر وقلة ودواب، فإستغنوا وكثرت دوابّهم

وسلاحهم، وقل المحامى عن البلاد" (٩٤). لذلك هرب الناصر إلى قسنطينة، ثم تحصن بالقلعة فحاصرها العرب وخربوا ما حولها. كما خربوا طبنة والمسيلة "فتركوها قاعاً صفصفاً أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير وغور المياه". وأضاف ابن خلدون إنهم نشروا الرعب فى كامل البلاد، وأخيراً "هجروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها فى الأمصار وملكوا عليهم الضواحى يتحينون جوانبهم ويقعدون لهم بالمراصد ويأخذون لهم الأتاوة على التصرف فى أوطانهم ولم يزل هذا دأبهم حتى لقد هاجر الناصر بن علناس سكنى القلعة وإختط بالساحل مدينة بجاية"(٩٥) .

استمرت العلاقات العدائية بين بنى سليم والناصر. دليل ذلك أنهم إشتركوا فى الحملة العسكرية التى جردها تميم بن المعز ضد عبد الحق بن عبد العزيز صاحب تونس التابع للناصر. وهذا يفسر إستسلام عبد الحق ودخلوله فى طاعة تميم بن المعز سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م .

نستخلص من ذلك أن العلاقات بين بنى سليم والدولة الحمادية إتسمت بالعداء، وأن بنى سليم إستهدفوا إضعافها والقضاء عليها .

العلاقة مع الموحدين:

قامت دولة الموحدين (٥٢٤ – ٦٦٨ هـ) وامتد نفوذها إلى كافة بلاد المغرب فضلاً عن الأندلس. لذلك أخذ موقف القبائل العربية ومن بينها قبيلة بنى سليم فى التذبذب بين الطاعة والولاء وبين التمرد أو الإشتراك فى الثورات التى إندلعت فى المغرب مثل ثورة بنى غانية. وفى هذا الإطار يمكن أن نفهم العلاقات بين بنى سليم والموحدين :

بدءاً نرى أن إستيلاء عبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين (٥٢٤ – ٥٥٨ هـ) على بجاية وقلعة بنى حماد، ثم زحفه نحو الشرق معتزماً فتح المغرب كله؛

كان من نتائجه إجتماع كلمة القبائل العربية ضده لإحساسها بالخطر الذى أصبح يتهددهم، فإجتمعت هذه القبائل ومن بينها بنو سليم وقرروا أن يتناسوا خصوماتهم وحروبهم فيما بينهم، وأن يكونوا يداً واحدة وقرروا إخراج عبد المؤمن من البلاد قبل أن يقوى سلطانه (٩٦).

هكذا حشد العرب جموعهم وساروا فى عدد لا يحصى لشن حرب ضد عبد المؤمن. ونجح الأخير فى إستدراجهم إلى ناحية سطيف، حيث دارت المعركة بين الطرفين سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٤م، وقد إستعرض بنو سليم والعرب فيها ضروباً من الحمية، على أنها إنتهت بهزيمتهم وتركوا أموالهم ونساءهم وأولادهم ونعمهم، فغنم الموحدون الأموال ونقلوا النساء والأطفال إلى مدينة مراكش، لمساومة رؤسائهم. وكان عبد المؤمن راغباً فى تطويع هذه القبائل، وكان يهدف فى نفس الوقت إلى كسبها إلى صفه. إذ أمر إبنه محمد أن يرسل إلى أمرائهم يعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ، ويطلب منهم الحضور ليصحبوهم، وأعلمهم أن أباه قد بذل لهم الأمان. فلما وصل كتاب محمد بن عبد المؤمن سارع العرب إلى مراكش، حيث أكرمهم عبد المؤمن، وأعاد إليهم نساءهم، وبذل لهم الأموال الطائلة . أفضت سياسة اللين والمهادنة التى إتبعها عبد المؤمن إلى موالاة بنى سليم له؛ حتى أنه إستعان بهم وبأمراء العرب فى نقل ولاية العهد من أبى حفص عمر هنتاتى إلى إبنه محمد سنة ٥٥١هـ / ١١٥٧م (٩٧). مع ذلك فقد إستعمل عبد المؤمن سياسة الشدة واللين مع عرب بنى سليم المهيمنين على قابس، وحاول كسب مودتهم وإستنهاض هممهم بالقصائد الشعرية (٩٨) .

برغم الدور الهام الذى قام به العرب فى ترسيخ ولاية العهد لإبن عبد المؤمن؛ إلا أن سياسة عبد المؤمن كانت تستهدف تحقيق هدفين فى آن واحد: التحضير للجهاد فى الأندلس، وبسط نفوذه على بلاد المغرب. الأمر الذى فطن له العرب. فبعد معركة سطيف إنسحبوا إلى القرن جنوب القيروان؛ وهى نقطة الإرتكاز الثانية

للقبائل العربية بعد باجة. فباغتهم جيش الموحدين، كما حدث فى معركة سطيف. ودارت رحى معركة حامية بين الفريقين سنة ٥٥٦هـ / ١١٦١م، إنتهت بهزيمة بنى سليم والقبائل العربية المحاربة، وغنم أموالها وتخميسها، وتعتبر هذه المعركة بداية خضوع هذه القبائل للسلطة الموحدية (٩٩) .

على إثر ذلك تعرضت القبائل العربية لسياسة التهجير للمغرب الأقصى والأندلس والتى إتبعها عبد المؤمن، فحمل ألفاً من كل بطن، وأمر البقية بالرجوع إلى مواطنهم بعد أن بلغوا مشارف وهران (١٠٠). يذكر المراكشى أن عبد المؤمن لما أراد العبور إلى الأندلس كتب للعرب رسالة يستنفرهم إلى الغزو بجزيرة الأندلس، فأستجاب له منهم ما لا يحصى، فلما أراد الإنفصال عن الجزيرة، رتبهم فيها فجعل بعضهم فى قرطبة، وبعضهم فى إشبيلية. يقول المراكشى: "فهم باقون إلى وقتنا هذا – سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤ م – وقد إنتشر من نسلهم بتلك المواضع خلق كثير، وزاد فيهم أبو يعقوب وأبو يوسف حتى كثروا هناك" (١٠١). ويذكر ابن عذارى أن السيد إبى يعقوب " قد إستاق من العرب ما لا يحصى" ويفهم من هذه الرواية أن عدد العرب الذين نقلوا قسراً إلى الأندلس كان هائلاً (١٠٢) .

على الرغم من سياسة التهجير للعرب التى إتبعها عبد المؤمن وخليفته أبو يعقوب ومن بعده أبو يوسف؛ إلا أنهم أظهروا ضروباً من الشجاعة تحت راية الموحدين خلال جهادهم فى الأندلس وفى هذا الصدد قال النويرى: "وكان فى هذه المدة عدة وقائع وغزوات ظهر فيها من شجاعة العرب مالا يوصف، حتى كان الفارس من العرب يسير بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج، فلا يبرز إليه أحد" (١٠٣).

لكن هذه السياسة كانت مسئولة – ضمن أسباب أخرى – عن عصيان الدبابيين من بنى سليم ضد الموحدين؛ وذلك حين تحالفوا مع قراقوش الأرمنى الذى نزل بجنوب إفريقية سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢ م. وتمكن هذا الحلف من السيطرة على

طرابلس، وجبل نفوسة (١٠٤).

شرع بنو سليم آنذاك فى التوغل فى بلاد إفريقية، وتجاوز خط قابس الإستراتيجى، الذى يربط بين المشرق والمغرب من جهة وبلاد الصحراء وإفريقية من جهة أخرى، وما يعنى ذلك من عائدات تجارية هامة. وإزاء هذا الوضع جهز الموحدون جيشاً لمواجهة بنى سليم، ودارت معركة بين الطرفين بمقربة من قابس سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م انتهت بهزيمة الموحدين. أفضت هذه المعركة إلى تعاظم قوة بنى سليم العسكرية، ولكن ذلك لم يكن بالأمر الهين للخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ – ٥٨٠ هـ ) يؤيد ذلك قول ابن عذارى: "وحين وصل هذا الحادث إشتغل بال الخليفة وخاطره وغار بذلك غيرة علم بها باديه وحاضره وبعث عن الموحدين وأعلمهم بالخبر واتفق الجميع على غزو بنى سليم وجهادهم وأخذ الثأر منهم" (١٠٥). ويبدو من خلال هذه الرواية إستشراء العداء بين بنى سليم والموحدين، وما أفضى إليه من أحقاد متبادلة بين الطرفين .

إنتهز بنو سليم حركة على بن إسحق المسوفى المعروف بابن غانية لإحياء دولة المرابطين بالمغرب سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤ م، فإنحازوا إليهم، كما انضمت جموع العرب إليهم، فى حين لم يبق خارج هذا الحلف سوى قبيلة زغبة التى إنحازت إلى الموحدين (١٠٦). وتمكنوا من إكتساح خط قابس سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦ م. لذلك قام الخليفة الموحدى المنصور بالتحول إلى تونس، وكلف جيشه بشن حملة ضد بنى سليم والعرب وبنى غانية، ودارت المعركة بين الطرفين بوطا عمرة – شمال شرقى قفصة – فى شهر ربيع الأول سنة ٥٨٣هـ / مايو ١١٨٧ م وتمكن حلف بنى سليم من هزيمة جيش الموحدين بقيادة أبى يوسف يعقوب بن أبى حفص. عندئذ نهض الخليفة المنصور بنفسه للتصدى لحلف بنى سليم، حيث دارت موقعة بين الطرفين فى شهر شعبان سنة ٥٨٣هـ / أكتوبر ١١٧٨م، إنتهت بهزيمة بنى سليم وبنى غانية وإستيلاء المنصور على قصبة قابس (١٠٧). ولعل ذلك يفسر إتباع المنصور سياسة تهجير

القبائل العربية إلى المغرب الأقصى، فى حين تمكنت قبائل بنى سليم من الفرار إلى الصحراء (١٠٨).

نجم عن ذلك إستمرار العداء بين الموحدين وبنى سليم. تمثل ذلك فى إقدام بنو سليم إلى توثيق علاقتهم بيحيى بن غانية الذى خلف أخاه سنة ٥٨٤هـ/ ١١٧٩م؛ لذلك جندوا عدداً كبيراً منهم من أجل محاربة أعدائهم. الأمر الذى أسفر عن هزيمة أبى زيد بن أبى حفص عمر الموحدى والى تونس والإستيلاء عليها سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م . فضلاً عن هزيمة قراقوش الذى إستأصل شأفة سبعين من شيوخ بنى سليم، واستولى على طرابلس. ومن ثم تمكن بنو غانية من السيطرة على البلاد الممتدة من بونة إلى بسكرة، ومن طرابلس إلى تونس؛ يعزى الفضل في ذلك إلى بنى سليم. إلا أن هذا الحلف ضد الموحدين برغم إنتصاراته لم يعمر طويلاً، حيث نجح الخليفة الناصر الموحدى من هزيمتهم فى معركة تاجرا فى ربيع الأول سنة ٦٠٢ هـ/ أكتوبر ١٢٠٥م. كما تمكن أيضاً من هزيمة محمد بن غازى المرابطى حاكم المهدية، وحليف بنى سليم، ومن ثم دخل المهدية فى جمادى الأول سنة ٦٠٢هـ/ ديسمبر ١٢٠٥م(١٠٩) .

مثلت هاتين الموقعتين منعرجاً هاماً فى علاقة بنى سليم بالموحدين، فقد بدأ التقارب حثيثاً بينهما وتزامن ذلك مع بداية حكم بنى حفص بإفريقية، بعد أن عين الخليفة الموحدى الناصر :أبا محمد عبد الواحد بن حفص عمر والياً على البلاد سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧ م. فقد إنحاز بنو عوف إلى ابن أبى حفص ضد بنى غانية فى المعركة الواقعة بشبرو قرب تبسة سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٨ م والتى إنتهت بهزيمة بنى غانية(١١٠).

العلاقة مع الحفصيين

لمع نجم بنى سليم فى الدولة الحفصية؛ ولا غرو فقد إصطنعهم أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصى عندما إستقل بحكم أفريقية سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م.

يؤيد ذلك رواية لإبن خلدون إذ يقول: "ورجع بنو سليم إلى أبى محمد صاحب إفريقية .. فلما إستبد إبنه الأمير أبو زكريا بملك إفريقية رجعوا جميعاً إليه .. فلما إنقطع دابر ابن غانية صرف عزمه إلى إخراج رياح من إفريقية لما كانوا عليه من العبث بها والفساد فجاء بمرداس وعلاق وهما بنو عوف بن سليم من بطونهم بنواحى السواحل وقابس واصطنعهم" (١١١). ويمكن القول أن إستقدام بنى سليم كان بمثابة النهاية لدور رياح الهلالية بشرق أفريقية. فقد خاضوا حروباً عديدة ضد رياح، إنتهت بهزيمة رياح ودحرها إلى البلاد الغربية (١١٢) .

نهج السلطان أبو زكريا الحفصى؛ سياسة التفرقة بين قبائل بنى سليم، ففرق بين عوف و مرداس، لذلك حرض عنان بن جابر شيخ مرداس الخليفة الموحدى السعيد بمراكش على غزو إفريقية. ولما تولى الناصر الحكم، إزدادت أهمية الكعوب وقويت مكانة شيخها عبد الله بن شيحة لدى السلطان، خاصة بعد أن عمل الحفصيون على التخلص من مرداس بنفس الأسلوب الذى إتبعوه من قبل مع قبيلة رياح، وهو ضرب قبيلة بأخرى. فدارت الحروب بين بنى عوف ومرداس، وإنتهت بإخراج مرداس من إفريقية، فنزلوا جنوب واحات الجريد (١١٣).

برز دور بنى يحيى بن علاق – خاصة بنى دلاج بنواحى جزيرة شريك – منذ سنة (٧٠٧هـ / ١٣٠٦ م) وإبان حكم السلطان أبى يحيى زكريا بن اللحيانى (٧١١ –٧١٧ هـ / ١٣١١ –١٣١٧ م) إذ تمكنوا من التغلب على المنطقة الممتدة من سوسة إلى نواحى الجزيرة القبلية. ويبدو أن الدولة الحفصية لم تكن راضية على إتساع نفوذ دلاج؛ يؤيد ذلك التجانى إذ يقول: " وجور هذه الطائفة المعروفة بدلاج فى فعلها وعيثها فى البلاد وأهلها أشهر من أن نشير إليه، أو ندل بعبارة مختصرة عليه"(١١٤). ولعل ذلك يفسر تعيين السلطان أبى يحيى لمحمد بن خلدون والياً على الجزيرة، وأوكلت له مهمة صد حركات دلاج (١١٥). أما فى فترة حكم السلطان أبى إسحق إبراهيم، فقد إستقرت الرئاسة فى أبناء كعب، وكان رئيسهم أحمد بن كعب، وقد

ظلوا على ولائهم للدولة الحفصية؛ على خلاف أبناء عمومتهم أولاد شيحة الذين ساندوا حركة ابن أبى عمارة المناهضة للدولة الحفصية سنة (٦٧٩ -٦٨١ هـ / ١٢٨٠ -١٢٨٢م) (١١٦) .

فضلاً عن ذلك؛ نجد أن الدولة الحفصية أججت الصراع داخل قبيلة عوف بين كعب وشيحة. ثم تحول الصراع بين فرعى كعب - أولاد أبى الليل وأولاد مهلهل - وتمخض هذا الصراع بين قبائل بنى سليم عن إضعافهم. ولا يخفى دور السلطان الحفصى أبو عصيدة فى إذكاء هذا الصراع، وهو أمر أتاح الفرصة للعامة للإنتفاض على رؤسائهم . مصداق ذلك قتلهم هداج بن مهلهل بمدينة تونس سنة ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م (١١٧). برغم انتقال المشيخة إلى أولاد أبى الليل، فإن مقتل هداج أفضى إلى حنق قبيلة الكعوب على الدولة الحفصية. لذلك ثارت سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م لتغيير الحكم لصالحهم، فقاموا بإستجلاب أبى سعيد عثمان بن أبى دبوس، من بنى عبد المؤمن، من طرابلس، ثأراً لمقتل هداج. لكن هذه الحركة انتهت بالقبض على أحمد بن أبى الليل واعتقاله بتونس حتى توفى سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨ م. كما ظل ابن أخيه مولاهم بن عمر مسجوناً منذ سنة ٧٠٨ هـ إلى أن تمكن أخوه حمزة من إطلاق سراحه سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م (١١٨) .

تعاظم نفوذ حمزة بن عمر فى عهد السلطان أبى يحيى زكريا اللحيانى المعروف بأبى ضربة الذى ولى الحكم سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧ م، بحيث تبوأ مكان الصدارة السياسية والإجتماعية بين العرب "حتى لقد نفس ذلك عليه أخوه مولاهم". لكن أولاد أبى الليل تعرضوا للتنكيل مجدداً عندما تولىّ السلطان أبو يحيى الطويل الحكم، ونابذه شيخهم حمزة بن عمر، فأمر السلطان بإلقاء القبض عليه وعلى إبنه منصور ومغرار بن محمد بن أبى الليل سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢ م. لعل هذا ما دفع حمزة بن عمر بأن نصب محمد بن اللحيانى سلطاناً، كذا مناصرة جند السلطان الزيانى أبى تاشفين. إستمر حمزه بن عمر فى عداءه للسلطان أبى يحيى حتى إستولى أبو الحسن

المرينى على تلمسان سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦ م. وإعتباراً من هذا التاريخ وفى ضوء هذه المتغيرات عدل حمزة من موقفه وأصبح حليفاً للسلطان الحفصى حتى توفى سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م (١١٩).

ساءت العلاقات بين عمر بن حمزة شيخ أولاد أبى الليل وبين الدولة الحفصية. وقد أسفر ذلك عن محاصرته تونس بالتعاون مع أبناء أولاد مهلهل، لكنهم إختلفوا فيما بينهم، فرفعوا الحصار عن المدينة. والأخطر من ذلك أن أولاد أبى الليل عولوا سلسلة من الإنقلابات على السلطان. ولا أدل على ذلك من إنقلابهم على السلطان أبى حفص عمر بن إبى بكر سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦هـ، وإختاروا أخاه أبا العباس أحمد، حاكم بلاد الجريد وولى العهد، وزحفوا إلى تونس، مما أجبر أبا حفص عمر على الفرار من تونس مع أنصاره من أولاد مهلهل. كذلك بايعوا السلطان أبا الحسن المرينى، لكن عندما أجبروا على التنازل عن الأمصار التى كانت مقتطعة بأيديهم، فضلاً عن أخذه الإتاوة منهم، بايعوا أحمد بن عثمان بن إدريس وهو أحد أحفاد بنى عبد المؤمن. لم يقف الأمر عند ذلك، بل ناجزوا السلطان المرينى، عندما حاول الإستيلاء على القيروان سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م. وقد بايعوا الفضل بن أبى بكر فى العام التالى. ومن ثم عادت الدولة الحفصية فى ظل هيمنة قبيلة بنى سليم على مقدرات الحكم والسياسة (١٢٠) .

استفحل النفوذ السليمى السياسى والعسكرى فى دولة الفضل بن أبى يحيى، دليل ذلك رواية لإبن خلدون إذ يقول: "وكان يوم ما بعده فى اعتزاز العرب على الدول آخر الأيام" (١٢١). وهو أمر كفيل بتفسيرموافقة السلطان الفضل بن أبى يحيى بزواج أخته لأبى الليل بن حمزه شيخ أولاد أبى الليل للإستظهار بهم، يقول ابن أبى دينار: "ولم يسبقه أحد لذلك" (١٢٢). ومع ذلك لم يجد عمر بن حمزة غضاضة فى تدبير مؤامرة بالتواطؤ مع المولى أبى إسحق ضد أخيه السلطان الفضل ، انتهت بقتل الأخير سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠ م، وتولى الأمر أخوه أبوإسحق .

ليس أدل على تعاظم نفوذ بنى سليم العسكرى فى عهد أبى إسحق؛ من تصديهم للسلطان المرينى أبى عنان فارس بن على (٧٤٩ – ٧٥٩ هـ) الذى إستولى على تونس سنة ٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م، وتمكنوا من هزيمته فى معركة تبسة. وترتب على ذلك فشل الحملة المرينية الثانية على الدولة الحفصية. كذلك إزداد نفوذهم السياسى بعد وفاة السلطان إبى إسحق سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م، تمثل ذلك فى عزل الأمير خالد بن إبى إسحق، وتولية السلطان إبى العباس أحمد الحكم سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م (١٢٣).

اتبع السلطان أبو العباس سياسة التفرقة بين قبائل بنى سليم، فإصطفى أولاد مهلهل، حيث أسند إليهم مشيخة بنى سليم، وجعل لهم العطاءات، مما أحدث إنشقاقاً داخل أولاد أبى الليل. ففريق ساند السلطان، بينما ظل أولاد حمزة بن عمر وأولاد حكيم رافضين لهذه السياسة، ودفعهم ذلك إلى مبايعة الأمير أبا يحيى بن السلطان أبى بكر. كما زحفوا معه للإستيلاء على تونس سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م، الأمر الذى دفع السطان إلى إسترضاء الثائرين بالأموال، فاسترد طاعتهم، ونقضوا بيعة المنصور. هكذا ترسخ نفوذ أولاد أبى الليل فى الدولة الحفصية. ومعلوم أن سلاطين الدولة الحفصية كانوا يمنحون شيوخ القبيلة ضياعاً واسعة، وكذلك حق تحصيل الضرائب، مكافأة لهم على مؤازرتهم فى صراعهم مع الطامعين فى الدولة الحفصية (١٢٤).

تغير وضع ونفوذ أولاد أبى الليل فى عهد السلطان المنتصر الحفصى. ففى سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤ م، أنقص السلطان مواردهم المالية، بإلغاء حقهم فى تحصيل جباية الأراضى الواقعة ما بين تونس والقيروان. وهو أمر أسفر عن تمردهم ومبايعتهم للأمير أبى يحيى زكريا، فضلاً عن مهاجمة مدينة تونس. غير أن الأمير أبا عمرو عثمان أخو السلطان المنتصر تمكن من هزيمتهم وكسر هذا الحصار الذى ضرب على تونس. وفى عهد السلطان أبى عمر عثمان، تقلص نفوذ أولاد أبى الليل خاصة بعد فشل محاولتهم اقتحام تونس سنة ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م، وألقى القبض على مشائخ

أبى الليل الثلاثة؛ منصور بن خالد بن صولة، وطلحة بن محمد بن منصور، ومنصور بن ذويب بن أحمد بن حمزة (١٢٥).

كذلك تقلص نفوذ أولاد مهلهل، إذ تعرضوا منذ سنة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٢ م لبطش السلطان إثر أزمة مالية، نجم عنها إصلاح نقدى أضر بمصالحهم، مما دفعهم إلى إعلان راية العصيان، فشنوا الغارات على البلاد. وعلى إثر ذلك جرد السلطان حملة لمحاربتهم، وقد تمكن من هزيمتهم، وإلقاء القبض على شيوخ أولاد مهلهل. ونظراً لعجز شيوخ بنى سليم عن دفع الخطر السلطانى، أصبح أمراء الدولة الحفصية يتدخلون فى تعيين المشائخ وعزلهم، وهو مايفسر تحول المشيخة إلى مؤسسة تابعة للسلطنة الحفصية .

**المحور الرابع: دور قبائل بنى بنى سليم الحضارى .**

الدور الإقتصادى: لا مراء فى أن بلاد المغرب شهدت ظاهرة الإقطاع العسكرى التى سادت كافة بلاد المشرق الإسلامى. وليس غرضنا إستعراض هذه الظاهرة فى التاريخ الإسلامى؛ لا لشىء إلا لأن أحد المؤرخين المعاصرين أفاض فى دراستها (١٢٦). إذ تتبع الإقطاع العربى السليمى خلال الفترة الزمنية للبحث. وحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد أن الإنتشار العربى ببلاد المغرب أدى إلى إعادة هيكلة النظام العقارى، وإعادة توزيع أراضى الدولة التى يطلق عليها أراضى الظهير أو العنوة و منها الهناشير والضيعات الشاسعة (١٢٧). فالحماديون صالحوا العرب على نصف غلة بلادهم، يقول المراكشى "صالحهم – المنصور بن المنتصر، صاحب بجاية – على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من ثمرها وبرها وغير ذلك، فأقاموا على ذلك باقى أيامه وأيام ابنه الملقب بالعزيز وأيام يحيى إلى أن ملك أبو محمد عبد المؤمن، فأزال ذلك من أيديهم وصيرهم جنداً لهم، وأقطع رؤسائهم بعض تلك البلاد"(١٢٨). ولما كان أمراء المغرب عاجزين عن الدفاع عن ممالكهم، ولحاجتهم

لجنود القبائل العربية فقد أقطعوا هذه القبائل الهناشير، لكن الدولة الموحدية وضعت حداً لهذه الإمتيازات. ومنها مصادرة هذه الاقطاعات، واستثنت إقطاع شيوخهم وهم رؤوس الجند تقرباً إليهم حتى لا يفكروا فى الإنتزاء (١٢٩) .

أما إقطاع التأليف فهو يتمثل فى حسن معاملة الأمراء والثوار المتغلب عليهم، ولهذا الغرض أقطع المنتصر أبى غيث الحكيمى السليمى الهناشير الواقعة بين القيروان وسبخة سيدى الهانى ونص الظهير السلطانى: " الحمد لله، هذه نسخة صدقة كريمة سلطانية متوكلية موحدية حفصية نصها: " الحمد لله وحده، تصدق مولانا أمير المؤمنين المولى الهمام حامى الإسلام، قاطع أهل الشرك والجور وعبدة الأصنام، ذو العطايا الوافرة والصدقات الزاخرة والعلم المنشور والجيش المنصور، الكبير الأشهر مولانا أبو عبد الله المنتصر بالله العلى العظيم القائم بوظائف الإسلام الراجى رحمة ربنا الكبير الرحمان وشفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فى يوم الزحام، على الشيخ الحاج الصالح البركة المعتقد الأفلح أبى رحمة غيث القيروانى الحكيمى، أعاد الله علينا من بركاته وأفاض علينا من سحائب خيراته، بالموضع المعروف بهنشير الزريبة والخزازية والعبيد وهنشير حمباز وكيسان وفنزر وقريح، جميعها متلاصقة الحدود. يحد جميعها قبلة عيون الربيع وجوفاً مجرى وادى القذام وغرباً طريقا الخضارة وطريق الحاجب وبحيرة الذّيب، وشرقاً سبخة أم الأصنام وبحيرة المسروقين بجميع أعشار ذلك وأحكاره ووظائفه ولوازمه، صدقة تامة ما اختلف الملوان وتعاقب الجديدان، وعلى أولاده وأعقابهم وأعقاب أعقابهم كذلك ما تناسلوا وامتدت فروعهم فى الإسلام، إحساناً إليه وانعاماً عليه لتوثقه بحبل الله المتين وجريه عليه السبيل الواضح المستبين. ومرادنا منه قراءة الفاتح (كذا) والدعاء الصالح ولنجلنا رعاه الله.

ورفعنا يد سعد الظاهرى عن تعاطى أمور سبخة أم الصنام وملحها الرفع التام، وابحنا الإنتفاع بملحها وغيره لجميع المسلمين على مرور الليالى والأيام إلى

إنقراض الزمان لا يعارضهم فيه معارض بوجه ولا بحال من الأحوال وأعطينا فى ذلك مالاً من كسبنا، حين نزول عدو الدين بالحضرة العلية، دمرهم الله وخذلهم، وقصده بذلك جزيل الثواب والسلام .

وذلك ... المشهورة منه الكتائب لجميع العمال والقواد والفقهاء وأهل جميع عمله على الدوام .

وبطره ذلك بخط اليد الكريمة المولوية الحفصية السلطانية، تحت ما وقع به عنى، وبخطه أيضاً، يليه ختمه المعلوم: توكلت على الله .

مؤرخ ذلك بغرة شهر ذى الحجة عام سبعة وسبعين وستمائة هجرى."(١٣٠).

شمل هذا الإقطاع سهلاً فيضياً تصب فيه عدة أودية أهمها وادى زورد ويقع بين سبختين – سبخة الشريطة شمالاً وسيدى الهانى جنوباً – ويتضمن مجموعة من الهناشير، وهى على التوالى هنشير الزريبة والخزازية والعبيد وحمباز وكيسان وفنزر وقريح. وقد استعمل مصطلح البحيرة فى هذه الوثيقة للدلالة على الأرض الزراعية وهو مصطلح شاع استعماله منذ العصر الموحدى للدلالة على الأرض المحيطة بالقرى. كما يأتى هذا الإقطاع دليلاً على دور عرب بنى سليم الهام فى التصدى للصليبيين النازلين بضواحى مدينة تونس سنة ٦٦٧هـ / ١٢٧٠ م، وقد برز بينهم الفارس الحكيمى ميمون بن كرفاح الوائلى، وعلى إثر انتهاء هذه الحرب، كافأ السلطان الحفصى شيوخ وفرسان قبيلة حكيم مقطعاً إياهم الأراضى الشاسعة (١٣١) .

يبدو من خلال الوثيقة أيضاً اعتماد السلطان على قبيلة بنى حكيم السليمية القاطنة حول المدن وترغيبها فى الإستقرار، إلى جانب القبائل البدوية المستقرة للإضطلاع بعملية الإنتاج حسبما يذكر ابن ناجى، إذ يقول: "خلف أبو رحمة غيث الحكيمى لذريته من الربع بظهير السلطان من الأرض والهناشير للحرث ما لا يقدرون على تعميره بالحرث، فجرت العادة أن يحرث الناس معهم ويأخذوا الحكر منهم، ويختص الفقير منهم بالعشر فى زماننا اليوم. وذريته اليوم – فى القرن التاسع الهجرى

– من الرجال البالغين نحو العشرين" (١٣٢). كما يتضح أيضاً أن السلطان قرر إزالة قبالة الملح المستخرجة من سبخة أم الأصنام من يد الظاهرى وتخصيص جزء من ماله لإسخراج الملح منها على أن يعود نفعها للأهالى لكسب رضى القبائل السليمية النازلة فى هذه الجهة من حكيم ودهمان.

أما الإقطاع السلطانى الثانى فقد تزامن مع الأول، إذ وقع على إثر الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع على تونس، لأحد فرسان حكيم وهو ميمون بن كرفاح الذى إنفرد ببسالته وفروسيته، ويتضح حدود هذا الإقطاع من خلال ما ذكره ابن ناجى، حيث يقول: "وكان يملك بلاداً وهناشير حول القيروان بالظهير، منه للعوسج وواد الملح وبحيرة شعبة وخشم الكلب وذراع التمار وذراع الأسريف والقرجانية من عمالة سوسة. ولهم اليوم فيه شركاء. وسببه أنه أراد الدخول للبلد، فأصاب فيها طيناً كثيراً، فرفعه بعض المرابطين من السرج من جماعة حكيم، فوهب له ربعها، واشترى الربع الآخر من حفدة الشيخ ميمون. وبعث حفيده الشيخ الحاج أبو العباس أحمد ظهراوات أكثر الأماكن المذكورة لسلطان وقتها أمير المؤمنين أبى فارس عبد العزيز، وقال له: هى الآن بيد غيرنا من العرب، فأنت أولى بها من تخليصها لنا. فقال السلطان لمن حضره: الناس يأخذون منى وأنا نأخذ من عند سيدى أحمد ميمون. وقال لمن هى بيده: من كان عنده منكم ظهير أقدم من هذه الظهراوات سلمت له ما بيده، وإلا بيت المال أولى بها" (١٣٣). ويبدو من خلال هذا النص اتساع حدود هذا الإقطاع الذى يصل إلى حد عمالة سوسة، أى أنه يتجاوز خمسين كيلو متر، كذلك تغير وضع هذا الإقطاع فى القرن التاسع الهجرى خاصة فى عهد أبى فارس عبد العزيز الذى حاول استرجاع هذه الأراضى وضمها للدولة.

كما تمكن مرغم بن صابر أمير الجوارى من أخذ زنزور من بربر مجريس بموجب ظهير سلطانى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٩ م (١٣٤). كما أقطع شيخ الكعوب الملقب بالحاج أربع قرى بناحية صفاقس وبإفريقية وبناحية الجريد (١٣٥).

وهذا يعنى أن سياسة إقطاع القبائل العربية ظهرت بوضوح فى الدولة الحفصية بعد إستيلاء أبى إسحق إبراهيم على الحكم (٦٧٦ – ٦٨٣ هـ / ١٢٧٩ – ١٢٨٤ م) ففى عهده إستولى الأعراب على القرى والمنازل (١٣٦). وإذا كان ابن اللحيانى قد اتبع سياسة مداراة قبيلة بنى سليم ففرق الأموال على علاق ودباب سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م وأقطعهم الأراضى، كما قرب إليه قبيلة أولاد أبى الليل من الكعوب؛ فإن خليفته أبا يحيى بكر إعتمد على قبيلة زناتة، وحاول تقليص نفوذ بنى سليم؛ وذلك بإخضاعهم للجباية. وكان سبب إنهيار ملك سلطان فاس أبى الحسن المرينى فيما بعد محاولته إزالة هذه الإقطاعات، فثارت عليه قبائل حكيم وكعب وهزمته فى موقعة القيروان سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م. ومهما قيل حول هذا الحدث الهام، فإن هذا الفشل جاء برهاناً على مدى الطبيعة العسكرية لقبائل بنى سليم، وتكريساً لسيادة الإقطاع العسكرى ببلاد المغرب .

منذ ذلك الحين "إنبسطت أيدى العرب على الضاحية وأقطعتهم الدولة حتى غلبوا على الضاحية وقاسموهم فى جبايات الأمصار بالإقطاع ريفاً وصحراء وتلولاً وجريداً" (١٣٧). فعلى سبيل المثال أضحت سوسة إقطاعاً لمحمد بن مسكين من بنى القوس كبراء حكيم ثم لإبن أخيه خليفة بن عبد الله بن مسكين (١٣٨) .

أما الأمير الحفصى أبو العباس الفضل فقد اتبع سياسة المهادنة مع أولاد أبى الليل وأولاد مهلهل من الكعوب فـ " سوغ الإقطاع والجوائز " لهم عند دخوله مدينة قسنطينة سنة ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م. لكن أخاه أبا إسحق ابراهيم الذى حكم بعده (٧٥١– ٧٧٠ هـ) إستخلص من العرب بلاد قرطاجنة والقيروان وسوسة، وإنتزع منهم الجبايات واستبد بها. غير أن هذه السياسة لم تؤت أكلها، فبنو حمزة برئاسة منصور بن حمزة أمير البلد من كعوب بنى سليم، إستطالت أيديهم على البلاد بعد هزيمة أبى الحسن المرينى "وتقسموها أوزاعاً وأقطعهم أمراء الحضرة السهمان فى جبايتها زيادة لما غلبوا عليه من ضواحيها وأمصارها استئلافاً لهم على المظاهرة وإقامة الدعوة

والحماية من أهل الثغور الغربية، فملكوا الأكثر منها وضعف سهمان السلطان بينهم فيها". أما السلطان أبو العباس أحمد (٧٧٢– ٧٩٦هـ) فقد إنتهج سياسة تقليص نفوذ الكعوب من الناحية السياسية والعسكرية والإقتصادية " فانتزع ما بأيديهم من الأمصار والعمالات التى كانت من قبل خالصة للسلطان" وقد حدث ذلك سنة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥. إلى جانب ذلك إستولى أيضاً على كثير من أموالهم ودروعهم وفرسانهم التى يستظهرون بهم فى حروبهم ضد الدولة الحفصية (١٣٩).

على أن الإقطاعات الممنوحة للعسكر السليمى والتى عرفت بالأراضى السلطانية كانت تعنى أمرين؛ أولهما ثنائية إقطاع التمليك والإنتفاع، ذلك أن الأساس فى توزيع هذه الأرض على العسكر والقبائل هو إعطاء إنتفاع؛ فكانوا يقومون بجبايتها، ولذلك سمى كذلك "إقطاع الجباية" (١٤٠) وقد ذكر ابن خلدون أن: "إقطاع أولاد حمزة فكانت جبايتهم بهم موفورة ومالهم داثراً" (١٤١). كما ذكر المغيلى النازلة التالية: "سئل حمو الشريف عن أرض المخزن يقطعها السلطان لبعض أجناده إمتاعاً – الإنتفاع – فيأتى قوم ويغرسون فيها ويقطعون على الجنان وضيفاً يسمّى بنصف الثمن والعادة جارية أن السلطان يحبّ من يعمّر بالغراسة ولا ينكر ذلك من يفعله"(١٤٢). لكن هذه الإقطاعات العسكرية كثيراً ما كانت تتحول إلى إقطاع تمليك نتيجة طول المدة وضعف سلطة الدولة ونهم المقطعين .

قبل أن ندلى برأينا فى رصد مظاهر الإقطاعية فى قوى الإنتاج؛ نعرض بعض ماذكره المؤرخون عن الأثر الإقتصادى السىء الذى أعقب الهجرة الهلالية. إذ ركز هؤلاء على ظاهرة عدم إستتباب الأمن؛ فقد ذكر ابن خلدون أن الإجتياحات الهلالية كانت مسؤلة عن التدهور الإقتصادى. يقول: "وجاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه وأكتسحوا المكاسب، وخربوا المبانى، وعاثوا فى محاسنها ... ثم إرتحلوا إلى المهدية فنزلوها، وضيقوا عليها بمنع المرافق، وإفساد السابلة ثم خربوا زناتة بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحى واتصلت الفتنة بينهم" (١٤٣). وفى نفس المعنى

ذكر المراكشى أن العمران كان متصلاً من الأسكندرية إلى القيروان، وأن القوافل كانت تسير فى هذا الطريق ليلاً ونهاراً، والحصون متقاربة "ولم يزل هذا معروفاً من أمر البلاد إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون، ونفت عنها أهلها أيام خلا بنو عبيد بينهم وبين الطريق إلى المغرب، فاستولى الخراب عليها إلى وقتنا هذا، واستوطنها الأعراب من سليم وغيره" (١٤٤). أما ابن عذارى فيذكر الآثار السيئة للهجرة الهلالية نقلاً عن ابن شرف فيقول: "قال ابن شرف أخبرنى من أثق به قال: خرجت من القيروان وسرت ليلاً فكنت أكمن النهار، فلم أَمُرَّ بقرية إلا وقد سحقت وأكلت، أهلها عراة أمام حيطانها من رجل وأمرأة وطفل يبكى جميعهم جوعاً وبرداً، وانقطع المير عن القيروان، وتعطلت الأسواق" (١٤٥). كما يعزى التجانى انحسار المساحات المغروسة بالزيتون إلى نفس العامل، فيقول أنه بعد رحيله عن الجم وهو بلد فى منتصف الطريق بين سوسة وصفاقس، ودخوله فى أرض قبيلة حصن من بنى سليم فيقول عن غابة الساحل، أن زيتونها: " أذهب إفساد العرب أكثره، وغيره بعد الأستواء أسطره" وكذلك الحال بالنسبة إلى غابة صفاقس " التى كانت قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها، فأفسدها العرب، فليس بخارجها الآن شجرة قائمة " (١٤٦) .

على أن فترات عدم الإستقرار لم تكن دائمة؛ بل توجد أخرى عرفت فيها الزراعة انتعاشاً، ولا يمكن تحميل القبائل السليمية والهلالية كل المسئولية، لكنها تقع أيضاً على حكومات المغرب التى استخدمت العرب أداة ضد بعضهم البعض مما ساعد على تردى الحالة الإقتصادية. مثال ذلك ما ذكره البكرى (ت ٤٨٧ هـ) وهو أقرب الكُتَاب لأحداث الهجرة الهلالية، إذ يصف القيروان وصفاً يدل على عظم عمارتها فى قوله: "وسائر جوانبها أرضون طيبة كريمة، وأحسنها الجانب الغربى وهو المعروف بفحص الدرارة يصاب فيه فى السنة الخصبة للحبة مئة" (١٤٧)، ويذكر أن للمدينة أربعة عشر باباً. فكيف يقارن هذا الوصف بما ذكره المؤرخون السابقون الإشارة إليهم. فحقيقة الأمر أنهم وصفوا ما صارت إليه القيروان بعد توالى الفتن

والحروب كثورة قراقوش وبنى غانية؛ وغير ذلك من أحداث أفضت إلى تخريب القيروان. كذلك ذكر ابن عذارى أن المعز بن باديس تسبب فى تخريب بلاده حيث: "أمر السلطان كافة الناس بانتهاب الزروعات المحيطة بالقيروان وصبرة وهى المنصورة، فسر المسلمون بذلك وحسبوها من أرزاقهم". وفى رواية أخرى؛ يذكر أن محاصرة تميم بن المعز لمدينة صفاقس سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١م أثرت سلباً على زيتون صفاقس نتيجة تخريب جنده فى أجنتها المعروفة بالغابة (١٤٨). ومما يؤكد ذلك أن صاحب كتاب الاستبصار– وهو من رجال القرن ٦ هـ – يصف قابس وصفاقس وسوسة وقفصة وصفاً يدل على مدى عمرانها، إذ يصف قابس بكثرة الثمار وبجودة الحرير الذى لا يعمل بأفريقية إلا بها. أما صفاقس فتمتاز بزيتها الذى يستعمله أهل أفريقية وتحمله المراكب إلى بلاد الروم. ويصف سوسة بأنها مدينة كبيرة يعمل بها الثياب الرفيعة السوسية التى لا نظير لها، وأن لحومها من أطيب لحوم أفريقية لطيب مراعيها، أما قفصة فتشتهر بكثرة نخلها وزيتونها وفواكهها (١٤٩). كما أشار التجانى إلى جزيرة جربة فى قوله "وهى أرض كريمة المزارع، وأكثر شجرها النخيل والزيتون والعنب والتين" ونذكر مثالاً آخر يوضح انتعاش الزراعة بدرجات متفاوتة فى المناطق البعيدة عن النزاعات البدو حضرية والتى تسيطر عليها قبيلة الوشاحين من بنى سليم مثل وادى زروُدِ ويعرف بفُرّان، ويقع بالقرب من القيروان؛ وقد شهد التجانى بذلك إذ يقول: "وهذا الوادى يمر فى طريقه على مزارع تسقى منه وينتفع به". كما يذكر أنه دخل أرض النوائل من بنى سليم، فأشرف على غابة قابس فرأى "بلداً قد استوفى المحاسن واستغرقها واذكر بمنظره الأنضر، وورقها الأخضر، جنة الخلد واستبرقها، وقد أحدقت غابته من جميع جهاته، وبهذه الغابة من الجواسق، والنخل المتناسق، ما يستوقف الطرف، ويستوفى الحسن والظرف، ويحقق ما قيل أن قابس جنة الدنيا، وأنها دمشق الصغرى" (١٥٠) .

أما الواحات القريبة من قابس فكانت بها غابة زيتون متسعة، وكانت قبل هذا غابة نخيل، فقطعت أيام محاصرة ابن اللحيانى لقابس فى بداية القرن ٨ هـ / ١٤ م وقريباً منها توجد كتانة، وهى قرية صغيرة "ملتفة الشجر حسنة المنظر، كأنها بستان واحد خضرة ونضرة، وعامة شجرها الزيتون، وكان غرسه بها أيام ولاية الأمير أبى زكريا على قابس سنة ٦٢٤ هـ ". أما قرية الزارات المجاورة لكتانة فهى "قرية ذات نخل كثير وماء غزير". وعلى نفس الوتيرة ذكر التجانى زنزور فيقول: "رأيت غابة متسعة الأقطار ملتفة الأشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون وأكثره من الغرس القديم على نحو زيتون الساحل. وبها مع ذلك نخل كثير ورطبه متناهى الطيب وبها أيضاً من شجر التفاح والرمان والعنب والتين كثير" (١٥١). ومن المعروف أن زنزور كانت منزلاً لبنى سليم وأقطعت لمرغم بن صابر السليمى حسبما أسلفنا.

معلوم أن هذه البلاد السالفة الذكر؛ سيطرت عليها قبائل النوائل والوشاحين والمحاميد من بنى سليم، مما يشير إلى إسهاماتهم فى مجال الزراعة، خاصة المجوعات التى فضلت الإستقرار. لكن يجب التنويه أيضاً أن قبائل بنى حصن و حكيم وطرود من بنى سليم أفسدوا أكثر زيتون الساحل، كما أخلوا قرى كثيرة وأجلوا عنها سكانها، مما يأتى دليلاً على خراب بعض المناطق الزراعية نتيجة الإنتشار السليمى الهلالى (١٥٢) .

يستشف من خلال النصوص استزراع الغلال والفواكه والأشجار المثمرة والبقول. ومما يلاحظ أن زراعة الحبوب التى لا تحتاج إلى عناية فائقة مثل البستنة، مما حفز البدو إلى الإستقرار والإقبال على ممارسة هذا النوع من الزراعة تدريجياً لإستهلاكهم الخاص. غير أن هذا النشاط مثل نقلة نوعية فى حياة القبائل العربية السليمية؛ فقد سيطر بنو سليم على العديد من الأراضى الزراعية، وأصبحوا مزارعين ينتجون الحبوب والماشية ومشتقات الحليب، مرتبطين فى ذلك بمتطلبات السوق الذى

يعقد كل يوم جمعة خارج الأسوار. واتخذت قبائل بنى سليم أماكن تخزن فيها حبوبها وكان مستودع أبّة من أهم المطامير السليمية (١٥٣).

بالنسبة للصناعة فقد كانت ترتكز على الطاقة البشرية والحيوانية، لإنتاج سلع تحويلية للإستهلاك المحلى. ومن خلال النصوص يتضح أن بنى سليم أسهموا فى بعض الصناعات التى كان لها ارتباط وثيق بالبادية، وخاصة فى قطاع الغزل والنسج. وقد مثل الصوف المادة الأولية الأساسية فى صناعة الملابس، واقترنت هذه المادة بتربية الماشية فى مجالات الإنتاج والترحال خاصة. كما مثلت الأسواق الريفية المجمع الأول لهذه المادة، باعتبارها نقاط التقاء بين البدو المنتجين للصوف والحضر المستعملين له تجارة وتصنيعاً. وقد فرضت على منتجيه من البدو ضريبة عند الدخول إلى المدينة، أطلق عليها فائدة الصوف، قيمتها ربع درهم عن كل جزة. وقد أقر ابن خلدون أن أهل المغرب متأخرون فى الصنائع باستثناء صناعة الصوف ودباغة الجلود، وهما حرفتان لهما صبغة بدوية. واشتهرت جزيرة جربة بجودة الصوف. يقول التجانى إنها اختصت "بحسن الأصواف المحمودة الأوصاف التى ليس بإفريقية لما ينسج من أثوابها نظير" (١٥٤). ويذكر القلصادى فى رحلته ممتدحاً صوفها "ومما خصت به لين الصوف ورطوبته، وتصير الشاة من غير الجزيرة فيها بعد إقامة سنة مثل شياهها فى رطوبة الصوف" (١٥٥) .

تميزت قبائل بنى سليم بصناعة ملابس مصنوعة من الشجر المعروف بالعشر – وهوشجر ناعم النبات شديد الخضرة يضرب إلى السواد – قال التجانى: "وثمره أخضر كالأترج تملأ الواحدة يد حاملها وهى مملوءة بشىء يشبه القطن تسميه العرب الخُرْفُع ربما حشيت منه المرافق والوسائد، وأخبرنى من أثق به أنه رأى ثياباً صنعت منه" (١٥٦) .

إلى جانب عمل الغزل والنسج كان هناك بعض الصناعات التى إرتبطت بهما؛ مثل القصارة والصباغة. إذ تولى القصار تنظيف المنسوجات قرب عيون الماء والأودية، وعادة ما يقوم بهذا العمل خارج أبواب المدن مثل سوسة وصفاقس. يذكر التجانى أن القصارين فى توزر يجتمعون بموضع يعرفونه بباب المنشر "فينشرون هناك الثياب الملونة والأمتعة الموشية ما يعمه على كبره فيخيل للناظر أنه روض تفتحت أزهاره .. وهو خارج عن غابتها" (١٥٧) .

أما عن الصباغة؛ فتعتبر المرحلة الأخيرة فى صناعة المنسوجات، وكانت تعتمد على مواد نباتية وأخرى حيوانية مستخرجة من القز أو مواد كيميائية مثل الشب، وكان لطبيعة الماء المستعمل دور فى فاعلية الصباغة (١٥٨). إشتهرت فى هذا الصدد بلاد طرة من أرض نفزاوة التابعة لهيمنة قبيلة زغب السليمية عين ماء تستخدم فى إكساب المصبوغات "ما يظهر عليها من الرونق والطلاوة" (١٥٩) .

ساهم الجوارى من بنى سليم بقدر فى إستخراج بعض المعادن مثل الملح من بعض مناطق نفوذهم – مثل سبخة تاكمرت بين نفزاوة وتوزر – ويصفها التجانى بقوله: "من غرائب الدنيا التى أغفلها المؤرخون وأهمل وصفها الإخباريون، فإنها أميال فى أميال سطحاً واحداً كالجين المسبوك أو المرمر المحكوك، يكاد ينفذه البصر لصفائه" (١٦٠). أما سبخة المخبز وتقع بأرض تاذر جنوب شرقى إفريقية التابعة للجوارى، فقد إشتهرت بجودة الملح قال التجانى: "وهنالك السبخة المفضل ملحها على جميع السباخ ومنها يمتار أكثر بلاد النصرانية.. وكانها طرف من سبخة التاكمرت"(١٦١) .

أما التجارة؛ فقد لعب الباعة دوراً فاعلاً فى الربط بين البدو والحضر؛ فكانوا يشترون البضائع من البدو خاصة الزراعية ويبيعونها فى المدن. تحدث ابن بطوطة والبرزالى، وكذلك الأدريسى عن أسواق البادية الأسبوعية التى يتم فيها التبادل بين منتوجات الحضر والبادية، فعلى سبيل المثال كان يعقد خارج مدينة تونس ثلاث

أسواق فى أماكن مختلفة كل أسبوع وكان البدو يتوافدون عليها من كافة نواحيها حاملين معهم بضائع بلادهم (١٦٢).

معلوم أن بنى سليم كان لهم أسواق خاصة بهم يتوافد عليها العرب من كافة البلاد. ويذكر التجانى أن زاوية أولاد سنان أخوة الوشاحين والنوائل كان بها سوق وصفه بقوله: "وهناك مجمع العرب وسوقهم وبها يباع مجتلبهم ومسوقهم " (١٦٣)، كذلك كان بزنزور سوق للبربر من الهواريين والمجرسيين ثم تحول إلى سوق نافقة ضخمة للمراغمة والجوارى من بنى سليم، يفد إليه البربر من جميع الأنحاء؛ مما أدى إلى زيادة التبادل التجارى بين بنى سليم والبربر .

شاعت ظاهرة تحول الأسماء الحاملة لكلمة سوق فى بداية التغريبة – مثل سوق الحسينى وسوق بدرنة – لكنها انقرضت فى عصر الدولة الحفصية، تاركة مكانها لقبائل بنى عوف. مثال ذلك تحول أهل سوق بدرنة إلى عشيرة سليمية أطلق عليها البدارنة. كما حفلت النصوص بكثرة الحروب، وفشت اللصوصية فى مناطق عبور القوافل التجارية، مثال ذلك قصر – وِزْدِر قرب قرية زوارة من أرض الجوارى – الذى يبيع من يجتاز به من الحجاج وغيرهم للنصارى. وكانت القوافل تحترس إذا مرت به خوفاً من أهله على سرقة الرجال "فإذا جازوا عليهم ولم يفقدوا أحد ممن معهم هنأ بعضهم بعضاً بذلك، وكان هذا الفعل فيهم كثيراً شائعاً" (١٦٤) .

تميزت العلاقة التجارية بين المدينة والبادية بالتوتر، نتيجة عجز الدولة عن حماية المدن من نهب وإفساد القبائل العربية؛ خاصة تلك التى كانت تدخل فى عداد القبائل المحاربة. وتوضح النازلة التى حدثت بإفريقية قبل تولى أبى حفص عمر الحكم سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م عن هذه الظاهرة، وما نتج عنها من تردى التعامل التجارى بين بنى سليم وأهل تونس (١٦٥). وفى إطار هذه العلاقة بين الطرفين نشبت نزاعات بين التاجر والبدوى، إذ تعود البدوى فى أسواق مدينة تونس على شراء البضائع وإيداعها فى الدكاكين لدى أهل السوق إلى أن يرجعوا ثانية لتسليمها، وكان

بعض تجار الحبوب الذين يطلق تسمية المطمر، يعمدون إلى خزن كميات كبيرة منها بالبادية، على أن يبيعوها بعد ذلك (١٦٦) .وهذا يعنى إنعدام الثقة بين تجار بنى سليم وتجار الحضر، ففى الغالب كانت العلاقة غير متكافئة. فكان التاجر يبتز أموال البدوى، ويبرز ذلك جلياً فى شراء ماشية البدوى بأرخص الأسعار. إذ إحتكر تاجر السلطان السوق، وإنفرد بشراء الماشية، دون أن يجرأ بقية التجار على الشراء من العرب. كما شاعت عملية "البيع مرابحة"؛ ومفادها أن يقوم تاجر السلطان بشراء الماشية بالجملة ثم يوزعونها على صغار الجزارين لذبحها وبيعها على أن يعود أكثر الربح إليهم. وقد استمر هذا العسف حتى القرن ٩ هـ / ١٥ م (١٦٧) .

بديهى أن تتفاقم مشكلات التجار من جراء المكوس والمغارم التى كانت تفرض عليهم من قبل أصحاب النفوذ من الولاة والقواد وشيوخ القبائل. مثال ذلك أن شيخ الكعوب عبد الله بن شيحة كان يفرض الإتاوات على توزر ونفطة وبلاد قسطيلة. وتعددت المكوس، فمنها التى يدفعها التجار والحرفيون فى الأسواق، ومكوس بيع المواشى والمغارم التى تدفع للسلطان. وكانت هذه المكوس تستخلص عن طريق حملات جباة السلطان فى البوادى واالقرى (١٦٨). وكانت بعض هذه الحملات تقوم بإتلاف الكثير من الإنتاج الزراعى. بما يعد إرهاقاً للتجار خاصة فى أوقات تجريد الحملات العسكرية لتأديب البلاد الرافضة لدفع الجباية فيكثر السلب والنهب (١٦٩) .

الدور الإجتماعى :

طرحت منذ وصول بنى سليم وأخوانهم من القبائل العربية إلى بلاد المغرب مسألة أثر هذه القبائل فى خلخلة البناء الإجتماعى فى بلاد المغرب. ولسنا فى حاجة إلى إبراز الأثر الإجتماعى لكل القبائل العربية، ونقتصر فقط على إلقاء الضوء على الدور الإجتماعى لقبائل بنى سليم فى بلاد المغرب خلال الحقبة موضوع البحث .

برز دور قبائل بنى سليم على الصعيد الإقتصادى؛ كما أوضحنا من قبل. ففضلاً عن تعاظم نفوذهم واقطاعهم الأرض، أحدثوا خلخلة فى البناء الإجتماعى

نتيجة إختلاطهم بالبربر حتى أن العديد من قبائل بلاد المغرب تجرى فى عروقهم الدماء العربية .

من الملاحظ؛ أن قبائل بنى سليم إحتلت مكان الصدارة الإجتماعية على حساب سكان بلاد المغرب سواء من العرب أو قبائل البربر. يؤكد ذلك إنتساب بعض قبائل البربر إلى بنى سليم مثل قبيلة سندويكش، حيث يذكر ابن خلدون أن هذه القبيلة تنفى نسبها لقبيلة كتامة وإدعت إنتسابها إلى بنى سليم . كما أنكرت زناتة نسبها البربرى، إذ يذكر ابن خلدون أن نسابة زناتة ينسبونهم إلى قيس بن عيلان وهو ما أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم. والواقع أن بعض بطون بنى سليم أُصهروا من زناته، وخير مثال لذلك، زواج الفضل بن السلطان أبى الحسن من إبنة عمر ابن حمزة شيخ قبيلة أولاد إبى الليل سنة ٧٣٢هـ ، كما أن قبيلة نفزاوة البربرية وقبيلة الشريد من بنى سليم إمتزجوا أمتزاجاً يجعل من الصعب التمييز بين العرب والبربر. كذلك الحال بالنسبة لقبائل كعب وحكيم وأصهارهم من قبيلة صنهاجة. وقبيلة أولاد سلامة مع بنى توجين الذين استضافوا ابن خلدون أربعة أعوام أكمل فيها مقدمة كتابه (١٧٠).

من الملاحظ؛ أنه مع الإنتشار السليمى بافريقية جرى تصوير العرب بصورة لا تخلو من الإحتقار؛ أذ غذتها الصراعات الإجتماعية والعسكرية والإقتصادية بين العرب وأهل الحضر. وقد لخص ابن ناجى موقف الخوف من العرب فى هذه الرواية إذ يقول: "سأل يعقوب الزغبى صالح الصدفى أين القطب اليوم ؟ قال: بإفريقية. قال: فى المصورات أو فى القرى ؟ قال: فى القرى: ما دليلك ؟ قال: إفريقية طريق شمس وجراد وعرب وبرد" (١٧١). ونتيجة لهذا العداء والتخوف والريبة بين الطرفين دعا أبو القاسم السيورى إلى مقاطعة العرب وعدم مخالطتهم وكذلك الإمتناع عن أكل لحوم ماشيتهم، لأنها من وجهة نظره مغتصبة، كما كان يمتنع فى الكتابة على الرق إلا إذا كان قديماً يرجع إلى ماقبل سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م أو معروفاً أصله (١٧٢). غير

أن هذا الموقف المتصلب بدأ يتجه نحو اللين فقد ذهب بعض الفقهاء إلى مشروعية التعامل مع الأعراب. لكن مع بداية الدولة الموحدية وكذلك طيلة القرنين الثامن والتاسع الهجريين بدأت تظهر دعوات الفقهاء لمقاطعة العرب من جديد. ويبدو أن هذا الموقف لم يكن معمولاً به بإفريقية فى العهد الحفصى؛ وأن هناك تمييز بصنفين من الأعراب الموالين للدولة يقع التعامل معهم، أما الخارجون عن طاعتها وتعدوا على الأموال والممتلكات فلا يجوز التعامل معهم(١٧٣). كما عول جباة الضرائب والمكوس من بنى سليم على شراء أبناء ونساء البربر الغير قادرين على سداد تلك الجبايات. مثال ذلك ما حدث من قبل المراغمة من جوارى بنى سليم مع بربر مجريس(١٧٤).

من الثابت؛ أن شيوخ الزوايا ساعدوا على إستقرار المجموعات البدوية السليمية، وتحولها تدريجياً من الغزو وقطع الطرق إلى الإستقرار. وفى هذا السياق مثل القاسم بن مرا بن أحمد السليمى أنموذج الشيخ الرافض للحرابة وقطع الطرق، فهو ينتسب لقبيلة بنى كعب السليمية، وتمكن من جمع العامة حوله، و تكوين مجموعة أطلقوا على أنفسهم "الجنادة"، وبدأوا فى الدعاء إلى إصلاح السابلة بالقيروان وما إليها من بلاد الساحل وتتبع قطاع الطرق. غير أن شيوخ الكعوب رفضوا هذه الحركة باعتبارها خروج على الجماعة والدولة، ووشوا به للسلطان إبى حفص عمر. ثم قتل غيلة بيد محمد بن مهلهل من بنى كعب، فخلفه إبنه رافع الذى قتل أيضاً على يد بعض رجالات آل حصن من بنى سليم سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م (١٧٥) .

حظى شيوخ بنى سليم بنفوذ تام داخل الأقاليم التى سيطروا عليها، إذ كثيراً ما قاموا بدور المؤسسات القضائية نتيجة لغيابها فى البادية فعوضوا العدول الذين حرروا العقود، واعتمدوا فى معاملاتهم على العقود الشفوية بشهادة شيوخ القبيلة (١٧٦).

لعل من المفيد الإشارة إلى بعض انتفاضات البدو بإفريقية خاصة خلال القرن الثامن الهجرى، كانت نتيجة إزدياد عمليات النهب والسرقة التى شملت أغلب الطرق

الرابطة بين صفاقس والمهدية والقيروان وبلاد الجريد. فقد تعددت إغارات فرسان بنى وائل من حكيم على بلاد الجريد، كما تعرضت قبيلة بنى أحمد من دباب إلى القوافل القادمة إلى القيروان، وغارات الحجرى– وهم فرع من بنى حصن من بنى سليم – وشملت البادية والساحل إذ استولت على ماشية منصور الهراغى فى مرعاها بالمهاذبة، ولم يتم إسترجاعها إلا بعد إستنفار الناس. ويبدو أن هذه الحركات كانت وليدة أزمة إقتصادية، فقد إرتفعت الأسعار خاصة الحبوب حتى بلغ القفيز من الشعير ستة دنانير فى إحدى سنوات النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى، ولم تسلم مخازن الحبوب من السرقة. وعلى سبيل المثال سرقة مخازن أحد أمناء القيروان؛ الأمر الذى دفع بعض التجار إلى إقراضهم الحبوب خشية السطو عليها. ونكتفى بذكر يعقوب الزعبى الذى فتح مطمورته لقبيلة دباب السليمية لتسليفهم خشية سطوهم عليها (١٧٧) .

إرتكزت العلاقات بين الدولة الحفصية وبنى سليم على نظام المنح والعطايا وبذل الأموال لمهادنة شيوخ القبائل. فقد حصل صولة بن إبى الليل من بنى كعب من السلطان أبى العباس أحمد (٧٧٢ – ٧٩٦ هـ/١٣٧٠ – ١٣٩٣ م ) على عادته وعوائد بنى سليم لتوزيعها عليهم، وحصل شيخ زاوية الجديدى بالقيروان على مائة دينار، وذلك للدور الذى لعبه فى تنصيب صولة شيخاً على قبيلته ومصالحته مع السلطان. هكذا أصبح صولة يعطى زكاة إبله للزاوية ٩٠ ديناراً (١٧٨). كذلك كان شيوخ الزوايا ضمن الفئات الإجتماعية المستفيدة من الإقطاعات العسكرية، وكثيراً ما كان هؤلاء من الأعراب الذين تابوا عن الحرابة وبدأوا فى الإندماج فى النظام الإجتماعى والسياسى وفق إنموذج الزاوية. وقد سبق ذكر مثالين يخصان إقطاعات إبى السرور ميمون بن زيد الكرفاح الوائلى الذى تمت توبته أثناء غارة قام بها فى بلاد الجريد حيث التقى أحد صلحائها وأقطعه المستنصرهناشير شاسعة بجهة القيروان. كذلك الحال بالنسبة لأبى رحمة غيث الحكيمى السليمى الذى أقطعه المستنصر

أراضى شاسعة، وإستقر بربض قرب القيروان (١٧٩). وقد منحت هذه الإقطاعات بطريقه أشبه ما تكون وراثية للحكيمى والوائلى وشيوخ زاوية أولاد سهيل من العمور وشيوخ زاوية أولاد سنان وهم جميعاً من بنى سليم، بصفتهم شيوخاً ويمتلكون فى نفس الوقت نفوذاً على قبائل بنى سليم التى بدأت فى الإستقرار فى الأرباض حول القيروان مثل ربض أولاد غيث الحكيمى (١٨٠) .

أما المرأة البدوية؛ فقد لعبت دوراً هاماً فى الأسرة العربية فى المغرب؛ فهى زوجة وربة أسرة. برغم ذلك شاركت فى الإنتاج الحرفى، إذ إختصت بغزل الصوف وحياكته؛ وحسب رواية الفقيه ابن عرفة فإن "النساء أجمع يغزلن". وكانت النساء الكادحات يجتمعن فى منزل واحد للعمل على أن يقع ذلك بالتداول، وهو ما يسمى "دولة النساء" وتخصصت البعض منهن فى هذا العمل، فآجرت نفسها لغزل الصوف مناصفة(١٨١). وكان المغزل المسمى القرنور عنواناً لشقاء الكادحات فى عمل الصوف، كما تبينه الأهازيج التى يرددها التجار لبيعه، قائلين: "من يشترى بقاطعه ما يتعب أصابعه" (١٨٢). كذلك شغفت بعض الأعرابيات بالصيد كالرجال. مثال ذلك جوارى بنى سليم الذين سكنوا فى منطقة زوارة وهى "أكثر بقاع الأرض ظباء ولأهلها دربة فى صيدها بأشراك ينصبونها لها". أما مساكن البادية فيغلب عليها طابع البساطة خاصة فى البوادى التى كان معظمها من أخصاص النخيل (١٨٣).

أما الزواج فى أوساط العرب فكان يتم دون عدول أو شهود حيث يجرى عقد القران شفاهاً، وعند أهل الحرابة دون حضور شهود، كما كان لا يحدد صداق، وغاية ما فى الأمر أن الزوج يدفع إلى أهل العروس مبلغاً مالياً لتحضير مأدبة الزفاف، كما يتولى تجهيز العروس. أما بالنسبة للطلاق فقد غلب عليه الصبغة الشفاهية بالمثل، دون الحاجة إلى التوثيق. ومما هو متعارف عليه بين العرب إظهار بعض العلامات أو الإشارات التى ترمز إلى وقوع الطلاق؛ كأن يعمد الزوج إلى حفر شىء من الأرض، ثم تتولى المرأة دفنه، دلالة على الطلاق، كما كان إسترجاع المطلقة يتم

بإشارة خفية أو لفظة ذكية يفهمها العربى بسرعة سجيته (١٨٤). شاع فى قبيلة بنى سليم زواج الأقارب، وكانت لإبنة العم أو الخال مكانة مميزة عندهم. أما تعدد الزوجات فأمر شائع بينهم. غير أن بعض الزوجات إذا تيقن من إستحالة عشرتهن مع أزواجهن، يلجأن إلى الفرار من بيت الزوجية. ومن عادات العرب حضور النساء عند المعركة، مثال ذلك ما وقع أثناء حملة الناصر على إفريقية، وفى معركة جبل نفوسة (١٨٥) .

الدور الثقافى :

أول ما يسترعى الإنتباه أن القبائل العربية لعبت دوراً هاماً فى تعريب البربر. وفى هذا الصدد يؤكد أحد المؤرخين المعاصرين أن "الحسنة الوحيدة التى تمخضت عن الوجود العربى البدوى فى المغرب هى دورهم فى إتمام تعريب البربر بعد إختلاط دمائهم بدماء السكان المحليين" (١٨٦). ويؤكد ابن خلدون على ذلك إذ يقول: "أما أفريقية كلها إلى طرابلس فبسائط فتح كانت دياراً لنفزاوة وبنى يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر وكانت قاعدتها القيروان وهى لهذا العهد مجالات للعرب من سليم. وبنى يفرن وهوارة مغلوبون تحت أيدهم وقد تبدوا معهم ونسوا رطانة الأعاجم وتكلموا بلغات العرب وتحلوا بشعارهم فى جميع أحوالهم". وفى رواية أخرى يوضح دور بنى سليم فى تعريب القبائل البربرية وذلك من خلال سياق حديثه عن قبائل هوارة فيقول: "وصاروا فى عداد الناجعة عرب بنى سليم فى اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الأبل وممارسة الحروب وايلاف الرحلتين فى الشتاء والصيف فى تلولهم، قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب، فلا يكاد يفرق بينهم"(١٨٧) .

إلى جانب انتشار اللغة العربية؛ فقد كان لبنى سليم دور هام فى الناحية الثقافية. على الرغم من اتهام بعض المؤرخين العرب وبنى سليم بمسئوليتهم عن التدهور العلمى والثقافى. يقول العبدرى الذى زار القيروان فى القرن السابع الهجرى

أنه عندما دخلها "سعى فى البحث عمن فيها من أهل العلم، فلم أجد فيها من يعتبر سوى الفقيه المحدث الراوية المعروف بالدباغ" (١٨٨). وهو حكم أكده المراكشى حين ذكر أن علماء القيروان تفرقوا فى كل مكان، فمنهم من قصد مصر، ومنهم من قصد الأندلس وبلاد المغرب الأقصى، وذلك من جراء تخريب العرب للقيروان (١٨٩) .

وعندنا أن هذا التدهور قد شمل العالم الإسلامى برمته قبل الغزوات العربية وهو ما ذكره ابن خلدون عند دخول الفكر الإسلامى "طور الإنحطاط". بل نؤكد أن تلك الغزوات أسفرت عن إتمام ظاهرة تعريب البربر. ذلك أن اللسان البدوى تميز بفصاحته وإبتعاده عن المصطلحات الأعجمية التى كثر إستعمالها فى المناطق الساحلية، وقد ظلت لغة البدو محافظة على الفصيح من اللغة وفى هذا الصدد يذكر العبدرى "أن عرب برقة من أفصح العرب وأكثر فصاحة من عرب الحجاز، كما تتميز لهجتهم باستعمال الألفاظ النادرة، على سجيتهم، مثال ذلك، تدعنى أظهر يعنى أخرج، وإذا ظهرتم فى الغابة، فخذ صوب كذا، بمعنى إذا خرجتم منها". ويستشف من خلال هذه النصوص صفاء اللسان العربى السليمى فى الإستعمالات النحوية والتركيبات اللغوية الفصيحة فى المنظوم والمنثور، ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال والذوق، لأن بنى سليم لم تدخل لهجتهم رطانة أو لغة أعجمية، فظلوا محافظين على الفصيح فى التركيب والمعنى فملكوا ملكة لسانية فى نظم الكلام مما أبرز دورهم الحضارى (١٩٠).

ظهرت هذه الملكة اللسانية فى السيرة الهلالية التى تجاوز إنتشارها بلاد المغرب لتشمل بعض الأقطار العربية. وحسبنا أن ابن خلدون لم يستطع غضّ النظر عن هذه الظاهرة الهامة التى خصت عصره، إذ أفرد لها حيزاً هاماً فى مقدمته. فذكر حكاية الجازية بنت سرحان والشريف بن هاشم معتبراً إياها من الروايات التى يتداولونها حول كيفية دخول القبائل العربية بلاد المغرب، مشيراً إلى أهمية الشعر فيها، المطبوع والمنتحل والمصنوع، وهونظم إبتعد عن قواعد النحو وإن كان قد حافظ

على "أساليب الشعر وفنونه موجودة فى أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب فى أواخر الكلم فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب" (١٩١).

ومن القصائد المطولة التى ذكرها ابن خلدون قصيدة على لسان خالد بن حمزة بن عمر شيخ الكعوب من أولاد أبى الليل يعاتب أولاد عمومته من أولاد مهلهل ويجيب شاعرهم شبل بن مسكيانة بن مهلهل. كما أورد قصيدة ذات طابع سياسى للشاعر شبل بن مسكيانة بن مهلهل معاتباً أخوانه أولاد إبى الليل فى موالاة شيخ الموحدين أبى محمد بن تافراكين حاجب السلطان بتونس أبى اسحاق بن يحيى(١٩٢).

تناولت قصائد أخرى الجانب الوثائقى الخاص بالهجرة الهلالية، وكذلك شتى الأغراض الشعرية – كالفروسية والشجاعة والكرم – التى تغنى بها بدو بنى سليم والعرب. ويمكن القول أن القصائد البدوية السليمية صورت حياة البدوى فى حله وترحاله، مما يلقى الضوء على الواقع الثقافى والإجتماعى والسياسى والإقتصادى فى بلاد المغرب خصوصاً (١٩٣).

يضاف إلى ذلك أن إحاطة العرب ببعض المعارف الفلكية؛ جرى إنتشارها فى الثقافة الشعبية عند البربر؛ فمعلوم أن العرب اهتموا بالنجوم التى قادتهم فى حلهم وترحالهم. وما نروم إضافته فى هذا الصدد أن هذا العلم لم يكن قاصراً على شيوخ أو أمراء القبائل؛ بل إهتم الرعاة برصد بعض النجوم مثل سهيل، فحددوا مبدأ ظهوره عند الفجر فى السابع من شهر سبتمبر. وفيه فيما يظهر لناظره إحمرار واضطراب شديد لقربه من الأفق (١٩٤) .

قصارى القول – أن بنى سليم كانوا على دراية بحركة النجوم؛ لتفسير الظواهر الطبيعية من فصول وأحوال طقس. فشدة ارتباط البدوى بالطبيعة قربه إلى فهم حقيقتها حسياً ووجدانياً . ناهيك عن تأثير ذهنيات الأعراب فى الآداب الشعبية –

الفلكلور – المغربى، عن طريق المأثورات البدوية؛ كالأمثال والأساطير وامتزاجها بذهنيات البربر (١٩٥) .

الناحية الدينية:

لجأت قبائل بنى سليم خاصة القبائل أو البطون المتفرقة والضعيفة منها إلى الإستقرار؛ مثل قبيلة حكيم والكعوب. وهو ما يعنى انتقال هذه القبائل من قبائل لا تنالها الأحكام الشرعية إلى قبائل بدوية غارمة، بدأت تعترف بسلطة الدولة. وقد ظهر ذلك من خلال ظهور الزوايا الريفية وما يعرف بظاهرة التوبة. ومن ثم إنعكس ذلك على طريقة التعامل مع التائب، هل تؤخذ كل أمواله أم جزء منها، أو تترك له ويقع الإقتصار على توبته. ففى بداية الهجرة السليمية القرن ٥ هـ / ١١ م، إعتاد الفقهاء أن يطلبوا من الإعرابى التائب تقويم جميع ما بيده، وتصبح تلك القيمة ديناً عليه، يخرج منه شيئاً وقت إعلان توبته، ثم يواصل استخلاصه شيئاً فشيئاً. لكن إبتداء من منتصف القرن ٥ هـ إلى القرن ٩ هـ ؛ أصبحت مسألة توبة الأعراب مسألة ملحة نتيجة لإرتباطها بالتحولات العسكرية والسياسية والإقتصادية التى كانت تعصف ببلاد المغرب. فطرحت فى القرن ٨ هـ / ١٤ م مسألة: إذا تاب أحد الأعراب وبيده أملاك لا يعلم مالكها ولا ورثته. لمن يكون هذا: للفقراء أو لبيت المال، وهل يجوز التمسك بشىء منها إذا كان التائب فقيراً ؟ ومن الأسئلة المطروحة: عمن تاب وبيده مال مغصوب وليس عنده غيره، هل يأخذ منه ما يقتات به أم أنه يفرط فى معظم المال، إلا ما ستره وكفاه لقوت يومه ؟ (١٩٦).

إختلف الفقهاء بالنسبة لهذه المسألة؛ فبعضهم كان يرى ترك بعض الأموال للتائب؛ ومن هؤلاء الفقيه أبو عبد الله الرماح. فى حين يرى فريق آخر ضرورة إستصفاء أموال التائب حتى تصح توبته؛ وفى مقدمة هؤلاء الفقيه ابو الحسن على العبيدلى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٩٧) .

أما عن تعليم أطفال البدو. فقد تعددت الكتاتيب لتعليم الصبيان، على أن

الفقهاء والمؤدبين أبدوا تحفظاً فى تدريس أبناء البدو بآعتبارهم محاربين و"أولاد الظلمة وكتاب دواوين المكوس"، ورأوا ضرورة تعليمهم القرآن دون الكتابة والحساب لأنهما يؤديان إلى ظلم الناس. ومما يذكر فى هذا الصدد أن بعض الفقهاء عابوا أحد المشائخ حين قام بتعليم صبية الأعراب بناحية تونس (١٩٨) .

برغم المحاذير الدينية؛ لم يتورع الفقهاء فى المغرب عن كسرها، إذ عزف بعضهم عن تدريس الكتابة والحساب لأطفال البدو وشيوخ القبائل. وقد أوضحت المصادر طريقة التدريس فى المرحلة الأولى؛ وحسبنا أنها أعتمدت على كتابة القرآن على الألواح والحفظ. ومثلت "الحذقة"، وهى حفظ القرآن كاملاً، مرحلة هامة من تعليم الأطفال. أما برنامج التدريس فى المرحلة المتوسطة، فقد إحتوت على تلاوة القرآن وتفسيره والحديث والوعظ وكتب السيرة، غير أن الفقهاء أهملوا إلى حد كبير دراسة العلوم العقلية. وعموماً إعتمدت الدراسة على الحفظ والتلقين. وكان المؤدب يتقاضى فى العهد الحفصى أجرة شهرية لكل طفل مبتدىء تتراوح بين درهم ودرهمين، وقد تبلغ لدى أبناء شيوخ القبائل ديناراً إلى دينارين، وقد تأخذ الأجرة عيناً (١٩٩).

وعلى الوجه الآخر؛ أثرت ثقافة البربر فى ذهنيات العرب؛ خصوصاً فيما يتعلق بتصوف الكثيرين من الأعراب عموماً، ومنهم بنى سليم بطبيعة الحال. وحسبنا الإشارة إلى زواياهم الخاصة بقبائلهم التى تأثر صلحاؤها بأعلام الصوفية فى المغرب؛ من أمثال أبو مدين شعيب بن الحسين، وأبو الحسن الشاذلى، وأبو سعيد خلف التميمى، وأبويوسف يعقوب الدهمانى. ومن القرائن الدالة على انتشار التصوف بين بنى سليم؛ أن بعض شيوخ قبيلة بنى سليم مثل ميمون الوائلى وأبى رحمة غيث الحكيمى والقاسم بن مرا بن أحمدالسلمى، إعتادوا التردد على رباطات القيروان والمهدية والمنستير وزوايا بنى سليم مثل زاوية أولاد سهيل وأولاد سنان. كذلك تسرب التصوف الشعبى إلى صفوف عامة بنى سليم، خاصة إذا علمنا أن هذه المؤسسات شهدت تطوراً فى وظائفها وفى نوعية النازلين بها، فقد أصبح أغلب المرابطين بها

ينحدرون من الفئات الإجتماعية الدنيا التى لا عائل لها، حيث أضحت المرابطة وسيلة لحل مشاكلهم من سكن وغذاء. بجانب أهميتهما الدفاعية، فإنها كانت مناطق سكنى التائبين والمتصوفة. ولقد أقر ابن عرفة المرابطة وما يتصل بها من أعمال مثل الذكر والتكبير لإشعار العدو الذى يريد إقتحام الحصن بوجود المدافعين عنه، فإنه شجب سلوكيات المتصوفة فى الزى الخشن الأسود والتطريب والتلحين، مفرق بين التصوف الشعبى والمرابطة (٢٠٠).

أما عن موقف أعراب بنى سليم من الفقهاء والقضاة؛ فنلاحظ أنهم لم يعيروا الفقهاء وزناً كبيراً. وحادثة هداج الكعبى بجامع الزيتونة شهيرة فى هذا الشأن حسبما تقدم. لكن الجديد أن لهم خطط خاصة، مثال ذلك الفريض والكاهن. فالأول كان بمثابة المفتى، وكان لقبيلة المحاميد من بنى سليم فريض لا يرجع فى أحكامه إلى شئ من حكم الشرع، وقد سمى مطمر نسبة إلى حكم السياسة والتسديد بينهم، ولهذا الرجل قوة خطابية على طريقتهم وقدرة على إظهار أقسية وضرب أمثلة يفعل بها فى نفوسهم كثيراً، حسب ما ذكره التجانى. ويذكر أيضاً أنه رأى منهم كاهناً أسود اللون، إسمه إبراهيم بن مطرف ويكنى أبا زرارة إدعوا صدقه فيما يتكهنه وحكواعنه عجائب عديدة. كذلك إعتقدت قبيلة بنى دباب السليمية فى الكهانه والشعوذة وإشتهر بينهم رجل من البربر يعرف بأبى غرارة "وقد حكم على العرب بأنواع من الشعوذة فلا يقدر أحد على مخالفته" (٢٠١). و نلحظ أن عرب بنى سليم كانوا يتميزون وبصفة خاصة البدو بعدم الحرص على ممارسة الشعائر الدينية، وأن النزلة وهى المكان الذى يحيط فيه البدو رحالهم مجالاً ملائماً لأداء صلاة الجماعة. كذلك لم يحرص بعض الأعراب على الصيام فى شهر رمضان. وهذا يفسر لماذا وصموا بأن ليس لهم من الإسلام إلا الإسم (٢٠٢) .

خلاصة القول؛ أن أعراب بنى سليم فى المغرب قاموا بدور ملحوظ فى تاريخه – إن سلباً أو إيجاباً – وهو ما كشف عنه البحث فى المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

## الهوامش

(١)ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، القاهرة ٢٠٠٧ م، ج٤، ص ٦٢، ٦٣، ج ٥ ، ص ٢٠٥ ، ج٦، ص ١٦ ، ٣١؛ ابن عذارى: البيان المغرب، بيروت ١٩٨٣ م، ج١ ،ص ٢٨٨- ٢٩١ .

(٢)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص، ١٤-١٦؛ محمد الحجرى: ابن شرف، بيروت ١٩٨٣ م، ص ٤٩-٥٩؛ محمد المرزوقى: أبو الحسن الحصرى، مكتبة المنار، ١٩٦٣ م، ص ٣٩-٤٠

(٣)الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، بيروت ١٩٨٩ م، م١، ص ٢٩٧ ،٢٩٨ .

(٤)ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٨٦ م، ج٩، ص ١٢، ١٨؛ النويرى: نهاية الأرب، تحقيق حسين نصار وعبد العزيز الأهوانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣ م، ج٢٤، ص ٢١١.

(٥)ابن عذارى: البيان المغرب ،قسم الموحدين، الدار البيضاء، ١٩٨٥ م .

(٦)التجانى: رحلة، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ، ١٩٨١ م، ص ٢٨، ٦٣، ٦٥، ٨٥، ٢٠٦، ٣١٠ .

(٧)ابن خلدون: المصدر السابق، ج١، ص ٣١٠، ج٦، ص ٣١؛

Agilar Sebastien, V, Aportacion de Los Arabes, XIV, 1993,P. 393-441.

(٨)ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، ١٩٦٧ م، ص ١٤٥؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٢٦٧،

(٩)المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، القاهرة ١٩٤٩ م، ص ٤٣٢

(١٠)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ١٤؛ ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبارغرناطة، تحقيق محمدعبد الله عنان، القاهرة ١٩٥٥ م، ج١، ص ٧٥؛ المقريزى، أتعاظ الحنفا، تحقيق محمد حلمى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٦ م، ج٢، ص ٢١٦.

(١١)ابن الأثير: المصدر السابق، ج٩، ص ٥٦٦ .

(١٢)ابن ميسر: أخبار مصر، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى، القاهرة ١٩١٩ م، ج٢، ص ٥،٦؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٨ .

(١٣)المقريزى: الخطط المقريزية، القاهرة ١٢٧٠هـ، ج١، ص ١٠٢-١٠٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة والإرشادالقومى، مطبعة كوستاتسوماس، القاهرة (د.ت)، ج٥، ص١٤٢؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦ م، ج١٥، ص١٨٨؛ السجلات المستنصرية: تحقيق عبدالمنعم ماجد، دارالفكر العربى، القاهرة ١٩٥٤ م، ص٤٢-٤٥؛ عبدالرحمن فيفة: من أقاصيص بنى هلال، ص ٧٨، ١١٤،

Brett M, Sijial AL-Mastansir, P. 101-102.

(١٤)ابن ميسر: الخلفاء الفاطميون، منشورات المعهد الفرنسى للأثار الشرقية، القاهرة ١٩١٩م، ص ٦؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ٣٠؛ محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامى، طور الإنهيار، القاهرة ٢٠٠٠ م، ص ١٤، ١٧ ، ٢٦، ٢٧ .

(١٥)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٧٧-٢٨٠؛ ابن أبى دينار: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، تونس ١٩٦٧ م، ص ٨٤؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢١٤، ٢٣٣.

(١٦)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٢٨؛ منى حسن أحمد محمود: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، دار الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٣٠ ،١٣١ .

(١٧)ابن خلدون: المصدر السابق، ص١٤؛ ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج٢، ص٥؛ الذهبى: المصدر السابق، ج١٥، ص١٨٨؛ السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدى الدمرداش، مكتبة نزار الباز، ٢٠٠٤م، ص٤١٩؛ المقريزى: البيان والإعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١م، ص٤٨، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٦٠، ١٣٧، ٢١٨؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص ١٦-٢٢؛ عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٤ م، ص ٢٢٣.

(١٨)ابن عذارى: المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

(١٩)ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣١.

(٢٠)ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص ٥٧٤؛ المقريزى: البيان والأعراب، ص ١٢٥؛ محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص ٢٦؛ عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص ١٤، ٢١٥؛ عبدالحميد يونس، الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الدراسات الشعبية، ص ٤١ . ٥٢، ١٣٥ ؛

Berque J, Du nouveau , P. 82.

(٢١)ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٥٦٧؛

(٢٢)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣١ ؛على محمد الصلاتى، الدولة الفاطمية العبيدية، مكتبة الإيمان ، المنصورة ٢٠١٠م، ص ١٠٤.

(٢٣)المقريزى أتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢١٢؛ ابن خلدون: نفس المصدر والصفحة ؛عبد الحميد يونس: المرجع السابق، ص ٦٩؛ محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٤٨٣ .

(٢٤)ابن عذارى: المصدرالسابق، ص٢٨٨، ٢٨٩؛ ابن خلدون: المصدرالسابق، ج٤، ص٦٢-٦٣؛ سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربى، منشأة المعارف بالأسكندرية، ج٣، ص ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢٥)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ١٦، ١٧ .

(٢٦)حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة ١٩٩٧ م، ص ١٦٨ .

(٢٧)عبد الحميد أحمد طه: ملحمة بنى هلال بين الماضى والحاضر، القاهرة ٢٠٠٧ م، ص ١٦٥.

(٢٨)عبد الحميد يونس، المرجع السابق، ص ٥٢.

(٢٩)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣٦ .

(٣٠)ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ٧٢، ٧٣

(٣١)نفس المصدر: ص ٣٣، ٣٥، ؛ المقريزى: أتعاظ، ج٢، ص ٢١٧ .

(٣٢)أمنية فزارى: سيمائية الشخصية فى تغريبة بنى هلال، دار الكتب الحديثة، ٢٠١١ م، ص ٢١٩-٢٢٢.

(٣٣)روزلين ليلى قريش، سيرة بنى هلال، الجزائر ١٩٨٨ م، ص١١ .

(٣٤)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ٨٧.

(٣٥)ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص، ٢٩٤، ٢٩٥ .

(٣٦)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣١، ٨٧ .

(٣٧)ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، بيروت ١٩٨٣م، ص ٢٠٦ ،٢٦١، ٢٧٣ .

(٣٨)ابن خلدون: المصدر السابق ، ص ٣٨٣، ٣٩٢ .

(٣٩)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣٣، ٧٥ ؛الغبرينى: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، بيروت، ١٩٧٩م، ص٦٠، ٦٣، ٩٩؛ الوزان، وصف افريقيا، الرباط ١٩٨٢م، ج٢، ص٦٨؛ مقديش: نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار، بيروت ١٩٨٨م، ج٢، ص ٣٠٦.

(٤٠)ابن ناجى: معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، تونس١٩٩٠م، ص٣٥؛ الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس ١٩٦٦ م، ص ١٣٨.

(٤١)التجانى: المصدر السابق، ص ٦٥-٨٥؛ ابن خلدون، ج٦، ص ٧٥ ، ٣٩٤ .

(٤٢)التجانى: المصدر السابق، ص ١٣٤، ١٤١، ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٨٥، ٤٢٣.

(٤٣)التجانى: المصدر السابق، ص ١٣٤؛ راضى دغفوس: دراسات فى التاريخ العربى الإسلامى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ٢٠٠٥م، ص ٣٣.

(٤٤)نفس المصدر: ص ٣٠٧؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٨٥ .

(٤٥)التجانى: المصدر السابق، ص ٨٦، ١١٨، ٣١٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٨٥

(٤٦)التجانى: المصدر السابق، ص٢١٢-٢١٤، ٢٢٠؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص٨٦، ٨٧.

(٤٧)نفس المصدر: ص٢١؛ محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية، القاهرة ٢٠٠١ م، م٢، ص ٥٢٨، ٦١٦؛ عبدالله عبدالرحيم عسيلان: العباس بن مرداس السلمى، الرياض (د. ت)، ص٨؛ عبدالرحمن بن زيد السويداء: الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد، الرياض (د.ت) ص ٢١١؛ احسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح حتى مطلع القرن التاسع عشر، بنغازى ١٩٦٧ م، ص ١٨٩.

(٤٨)ابن خلدون :المصدر السابق: ص ١٩ .

(٤٩)السجلات المستنصرية: رقم (٥)، ص ٤٢، ٤٣؛ التجانى، المصدر السابق، ص ٣٢٨؛ النويرى، المصدر السابق، ج٢٤، ص ٢١٠، ٢١١.

(٥٠)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٤ .

(٥١)نفس المصدر: ص ١٥؛ عبد الحميد يونس، المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٥٢)النويرى: المصدر السابق، ص ٢١٣؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٥،١٩ .

(٥٣)السجلات المستنصرية، ص ٤٢- ٤٣؛ المقريزى: المقفى الكبير، ج٣، ص ٤٢٤؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٩ .

(٥٤)المراكشى: المصدر السابق، ص ٣٢٨؛ محمد الهادى الشريف: تاريخ تونس، ص ٤٨ – ٥١؛ نبيلة حسن محمد: الآثار السياسية والإجتماعية للغزو الهلالى، ص ٧١ .

(٥٥)ابن الأثير: المصدر السابق، م٨، ص٢٧٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق ن ج١، ص١١٠.

(٥٦)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٠٨ .

(٥٧)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ٣١٢؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٣٣٥ – ٣٣٩.

(٥٨)ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، ص ١٢٢؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٢٤٣ .

(٥٩)ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ٩٥ ؛

Soucek S., Tunisia , P. 91; Brett M, Arabs Berbers and holymen,n-117-118, P.533.

(٦٠)التجانى: المصدر السابق، ص ٦٥-٨٥؛ ابن ناجى: معالم الإيمان، ج٣ ،ص ٢٠٩ ، ج ٦، ص ١٦٣، ١٧١، ١٧٣، ١٨٢، ٢١٠، ٢١٢؛

Anita Baker , Wadran, a key to an enigma, P. 190-198.

(٦١)ابن الأثير :المصدر السابق، ص ٤١.

(٦٢)رسائل موحدية، عدد ٩ ، ص ٢٦-٣٦؛ ابن الأثير: نفس المصدر والصفحة؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٣٤٤، ٣٤٧؛ النويرى: المصدر السابق، ج٢٤، ص ٣٠٥- ٣٠٧ .

(٦٣)ابن الأثير: المصدر السابق، م ٩، ص٤١؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج٣ ن ص ٦٢؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٢٤٣؛ محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص ١٧٥؛

Marcais G., op. cit, P. 182-183.

(٦٤)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٦٧، ٦٨؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٨؛ رسائل موحدية: عدد ٢٠، ص ٩٩-١١٣، رسالة ٢١، ١١٣-١٢١؛ ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى تاريخ المغرب ومدينة فاس، الرباط ١٩٧٢ م، ص١٩٩ .

(٦٥)المراكشى: المصدر السابق، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٦٦)ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٤١١، ٤١٥، ٤١٧- ٤١٩؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٣٢٦؛ Marcais G., op. cit, P. 182-183.

(٦٧)التجانى: المصدر السابق، ص ١١١، ١١٢؛ ابن عذارى: المصدر السابق ،ص ١٥٤؛ المراكشى: المصدر السابق، ص ٣٩٠، ٣٩١

(٦٨)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ١٩٠ -١٩٧؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٢٧؛ ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢١٨؛ الذخيرة السنية فى أخبار الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢ /، ص٤٦؛ محمود اسماعيل: تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة ٢٠١٤م، ص١٠٨؛ محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية ، تونس ١٩٩٩ م، ص ٥٢. حركة بنى غانية قام بها حاكم جزيرة ميورقة على بن اسحق المسوفى المعروف بابن غانية لإحياء دولة المرابطين فى المغرب سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م فغزى افريقية واستولى على الكثير من مدنها؛ لكنه توفى فى ميدان المعركة ليخلفه ابنه اسحق ثم خلفه ابنه على الذى تعاظم خطره بعد انضمام قبيلة بنى سليم وبعض القبائل العربية إلي معسكره، كما آزره صلاح الدين الأيوبى وأمده بجند من قبله، وتمكن ابن غانية من السيطرة على افريقية، ثم حاول الإستيلاء على المغرب الأوسط. وحيال هذا الوضع لم يتقاعس الخليفة المنصور الموحدى عن انفاذ جيش واسطول ترأسه بنفسه. وبعد معارك مضنية بين الطرفين تمكن المنصور من طرد بنى غانية من المغرب الأوسط ومعظم مدن إفريقية. لكنه لم يستأصل شأفتهم نظراً لإضطراره الجواز إلى الأندلس بعد تعاظم خطر النصارى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٧م. نشطت حركة ابن غانية فى عهد محمد الناصر الموحدى، فقد تمكن يحيى بن غانية من السيطرة على إفريقية من بونة

إلى بسكره، ومن تونس إلى طرابلس، لكن الناصر أنفذ حملة عسكرية سنة ٦٠٢هـ /١٢٠٥ م، ودارت المعركة بين الطرفين، انتهت بهزيمة ابن غانية. ولم تتقاعس جيوش الموحدين عن ملاحقة بنى غانية وأنصاره حتى توفى سنة ٦٣٠هـ ١٢١٢م وبموته وضع حد لهذه الحركة التى اكتسحت كامل بلاد المغرب من سجلماسة إلى فزان إلى تونس.

(٦٩)التجانى: المصدر السابق، ص ١٠٤-١١٠، ٣٥٤، ٣٥٦ .

(٧٠)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٩٠؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠؛ المراكشى: المصدر السابق، ٤٥١، ٤٥٢.

(٧١)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٥٥؛ G.Marcais, Les Arabes en berberie du XI au XIV s. Constantine – Paris 1913. p. 217-218

(٧٢)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ٧٣، ٧٤؛ A. Babaker, Les Relations entre le Tchad et l'Ifriqiya, D. R. A. , Tunis 1992; P. 148 ; Pringle, The Defense of Byzantine Africa , Part 1 , Oxford 1981. P.272.

(٧٣)رسائل موحدية، ص ٢٥٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٢١، ٢٢، ٧٤؛ المراكشى: المعجب، ص ٣٢٨؛ ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٨٦ .

(٧٤)التجانى: المصدر السابق: ص ١١٨، ٢١٧؛ ابن خلدون: المصدر السابق: م٧ ،ص ١٠٧، ١١٥، ١٣١

(٧٥)ابن الدباغ: الأسرار الجلية فى المناقب الدهمانية، ج١، ص ١١؛ ابن ناجى: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٩؛ ج٤، ص ١٠٦، ١٢٣، ١٤٠، ١٧٣، ٢١٠؛ التجانى: المصدر السابق، ص ١٨٠، ١٨١، ٢١٢، ٣٠٧

Brunschvig. R, La Berberie Orientale sous les Hafsides , Paris. 1940. T 11 P.202,321.؛

(٧٦)التجانى: المصدر السابق، ص ٢١٤، ٢١٥ .

(٧٧)ابن ناجى، المصدر السابق، ص ١٦٦، ١٦٩؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٢٠، ١٢٥، ١٢٨ .

(٧٨)التجانى: المصدر السابق، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٣.

(٧٩)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ،ص ١٤؛ عفيفى محمود عفيفى: الأحوال السياسية فى مدن إفريقية، القاهرة ١٩٨٤، ص ٦ .

(٨٠)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٥، ٧٣ .

(٨١)ابن عذارى: المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٩، ٢٩٣؛ عبد الكريم أحمد طه إبراهيم: ملحمة بنى هلال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ٦٦٦ .

(٨٢)الإدريسى: المصدر السابق، م١، ص ٢٤٨؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص١٦، ٣٢، ١٥٦

(٨٣)ابن لأثير: المصدر السابق، ص ١٩٤؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٧١ – ٧٣؛ ابن إبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٨٤)ابن الأثير: المصدر السابق، ص ١٣٤؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٩٧ ، ٣٣٠؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٣٠٠؛ ابن خلدون :، المصدر السابق، ص ١٦٦ –١٦٨ ؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٣٠٠ .

(٨٥)الهادى روجى: الدولة الصنهاجية، بيروت ١٩٩٢م، ج١، ص ٣٤٨؛ إلهام حسين، مدينة قابس، ص ٥٨، ١٤٥ .

(٨٦)التجانى: المصدر السابق، ص ٧٣، ٧٤، ٩٧؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦ ، ص ٧٤، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٧ .

(٨٧)نفس المصدر: ص ٧٣، ٤٢٣، ٤٢٤.

(٨٨) ابن الأثير: المصدر السابق، م٨، ص ١٧٤ ، ٢٤٩، ٢٧٣ ، ٢٧٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٦٦؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٢٤٣ .

(٨٩)التجانى: المصدر السابق، ص ١٠٠، ١١٤؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٦٧؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٣١٣ .

(٩٠)ابن الأثير: المصدر السابق، م ٩، ص ٦٤؛ الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ١٢؛ النويرى: المصدر السابق، ص٣١٣ .

(٩١)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٤١٤؛ جيهان مصطفى حسين: إقليم قسطيلية من الغزوة الهلالية وحتى نهاية الدولة الحفصية، ص ١٦٨.

(٩٢)التجانى: المصدر السابق، ص ٣٠؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٥؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٢٤٩؛ السيد سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج ٢، ص ٦٧٢ .

(٩٣)ابن الأثير: المصدر السابق، م٨، ص ١٠١، ١٠٢؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٩٩؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٧٣؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٢٢٠، ٢٢١ .

(٩٤)ابن الأثير: نفس المصدر والصفحة؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٢٢٢، ٢٢٣ .

(٩٥)ابن خلدون: المصدر السابق ن ص ٢٠، ٦٩، ١٧٤.

(٩٦)ابن الأثير: المصدر السابق، م٩، ص ٤١. يذكر ابن الأثير أن العرب قالوا: "إن جاورنا عبد المؤمن، أجلانا من بلاد المغرب، وليس الرأى إلا اللقاء معه وأخذه بالجد، وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن وتحالفوا على التعاون والتظافر وأن لا يخون بعضهم بعضاً" .

(٩٧)رسائل موحدية: نشر ليفى بروفنسال، رسالة عدد ٩ ، ص ٢٦-٣٦؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٣٤٤، ٣٤٧؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٣٠٥-٣٠٧ .

(٩٨)ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٦٢ .

(٩٩)ابن الأثير: المصدر السابق، م ٩، ص ٦٤، ٦٥ ؛ النويرى: المصدر السابق، ص ٣١٦

(١٠٠)ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص ١٩٩ .

(١٠١)المراكشى: المعجب، ص ٣٣٠، ٣٣١ .

(١٠٢)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٦٧ .

(١٠٣)النويرى: المصدر السابق، ص ٣٢٤ .

(١٠٤)التجانى: المصدر السابق، ص ١١١، ١١٢؛ المراكشى: المصدر السابق، ص ٣٩٠، ٣٩١؛ محمد عنان: تاريخ دولة الإسلام فى عهد المرابطين والموحدين، ج٢، ص ١٥٦ .

(١٠٥)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ١٥٤ .

(١٠٦)المراكشى: المصدر السابق،ص٣٢٩ -٣٤٢؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ٢١

(١٠٧)التجانى: المصدر السابق، ص ١١٤، ١١٥ .

(١٠٨)رسائل موحدية، رسالة عدد ٣١، ص١٩١ – ١٩٧؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٢٤، ٢٦، ٢٩ .

(١٠٩)التجانى: المصدر السابق، ص ١٠٥- ١١٠، ٣٥٤، ٣٥٦ ، ٣٦٠؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٩٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص ٢٣؛ الذخيرة السنية، ص ٤٠؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٥ – ١٨.

(١١٠)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ٧٣؛ الزكشى: المصدر السابق، ص ١٨ ، ١٩.

(١١١)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٧٤، ٧٥؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية "د.ت"، ص ١٢٠، ١٢١.

Laroui A, Histoire du Maghreb, Essai de synthese, Paris 1970, P. 86 .

(١١٢)الزركشى: المصدر السابق، ص ٢٥؛ G. Marcais, Les Arabes en Berberie, P. 411-413 ; R. Brunschvig , Les Hafsides , T1, P. 29.

(١١٣)التجانى: المصدر السابق، ص ١٦٣ .

(١١٤)نفس المصدر: ص ١٦ .

(١١٥)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص ٣٨٣ ؛ R. Brunschvig, op. cit., T1, P. 312.

(١١٦)ابن خلدون: المصدر السابق ن ج٦، ص ٧٥، ٧٦، ج٧، ص ٩٠، ٩٣، ٢٢٥، ٣٨٣ .

(١١٧)نفس المصدر: ج٦، ص ٧٦.

(١١٨)الزركشى: المصدر السابق، ص ٥٦ .

(١١٩)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٧٦، ٧٧، ١٨٣ ٣٥٦ – ٣٦٤؛ ابن الشماع ( أبو عبد الله محمد): الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية، ص٨٥؛ ابن أبى دينار: المؤنس، ص ١٤٢، ١٤٦ .

(١٢٠)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٨٧، ٣٣٥، ٣٦٠؛ ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٤٤ ؛

Kably M, Societe, pouvoir et Religion au Maroc, P. 141-144.

(١٢١)ابن خلدون: المصدر السابق ' ص ٧٨ .

(١٢٢)ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٤٧ –١٤٨ .

(١٢٣)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٨٢؛ ابن قنفذ ( أبو العباس أحمد الخطيب ): الفارسية، ص ١٧٤؛ ابن الشماع: الأدلة، ص ١٠٣ .

(١٢٤)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٧٩، ٣٨٤، ٣٨٩، ٤١٣؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٩ – ١١١، ١٣٢، ١٣٣ .

(١٢٥)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣٦، ١٤٥ – ١٤٧ .

(١٢٦)محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، طور الإزدهار (١)، ص ٣٠.

(١٢٧)البرزالى (أبو القاسم ): جامع مسائل الأحكام "مخطوط" ج٢، ص ٢٦١، ٣١٢؛ ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ١١٧، ٢٠١

(١٢٨)المراكشى: المعجب، ص ٣٢٩ .

(١٢٩)محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢؛ عز الدين موسى: النشاط الإقتصادى فى المغرب الإسلامى، ص ١٤٥ .

(١٣٠)محمد الهادى العامرى: تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون، ص ١٧٧؛ Despois, J, La Tunisie Orientale, Le Sahel et la Basse Steppe, Paris 1955, p.56, fig. 10, 14.

(١٣١)ابن ناجى: المصدر السابق: ج ٤، ص ٢٥، ١٠٦؛ البرزلى: المصدر السابق، ج٣، ص ٧٥ أ .

(١٣٢)ابن ناجى: المصدر السابق، ص ٣٧، ٣٨ .

(١٣٣)نفس المصدر: ص ١٠٥؛ الهادى روجى: الدولة الصنهاجية ، ص ٦٩١ .

(١٣٤)التجانى: المصدر السابق، ص ٢١٧ .

(١٣٥)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ٧٥؛ ابن ناجى: المصدر السابق، ص ٣٧، ١٠٥ .

(١٣٦)ابن قنفذ :المصدر السابق، ص ١٣٩؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٢١٧؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ٤٣ .

(١٣٧)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ٧٨ .

(١٣٨)نفس المصدر: ص ٨٣؛ ج٧، ص ١٠٧ .

(١٣٩)نفس المصدر: ج ٦، ص، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤ ، ٣٨٨.

(١٤٠)محمود اسماعيل: المرجع السابق، ص ٢٨ –٣٠ .

(١٤١)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣٨٨ .

(١٤٢)المغيلى المازونى: الدرر المكنونة فى نوازل مزونة ،مخطوط، ج٢، ص ٤١، ٥٥ .

(١٤٣)ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ١٦؛ ج ٧ ، ص ٢٧٣ .

(١٤٤)المراكشى: المصدر السابق، ٤٣٢، ٤٣٣ .

(١٤٥)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٩١ .

(١٤٦)العبدرى "أبو عبد الله محمد بن محمد": رحلة العبدرى، ص ٣٧، ٣٨؛ التجانى: المصدر السابق، ص ١٥، ٧٥؛ مقديش: نزهة الأنظار ، ج٢، ص ٣١٢؛ ابن ناجى: معالم، ج ٤، ص ١٨٣ .

(١٤٧)البكرى: المغرب، ص ٢٤ .

(١٤٨)ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٢٩١، ٣٣٠ .

(١٤٩)مؤلف مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص ١١٠ – ١١٦، ١١٩، ١٥٣.

(١٥٠)التجانى: المصدر السابق، ص ٨٦، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٢، ١٧٩.

(١٥١)نفس المصدر: ص ٢١٤ – ٢١٧ .

(١٥٢)نفس المصدر: ص ٥٥ .

(١٥٣)الوزان: المصدر السابق، ج٢، ص ٥٢، ٥٣، ٦١، ١٠٤، ١٤٥؛ الشماخى " أبو العباس أحمد ": كتاب السير، تحقيق محمد حسن، تونس ١٩٩٥ م، ص ٣٢١ ؛ التجانى: المصدر السابق، ص ٦٥، ١٢٢، ٢١٥، ٣٠٧؛ الونشريسى "أحمد بن محمد ": المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨١ م، ج١، ص ٣٨٣، ٣٨٥.

(١٥٤)التجانى: المصدر السابق، ص ٥٧، ٦٢، ١٢٢، ١٣٢؛ ابن خلدون: المقدمة، ص ٧٣٣ .

(١٥٥)القلصادى الأندلسى "أبو الحسن على ": رحلة، تحقيق محمد أبو الأجفان، تونس ١٩٧٨م، ص ١٢٣ .

(١٥٦)التجانى: المصدر السابق، ص ٣١٢، ٣١٣ .

(١٥٧)مقديش: نزهة الأنظار، ج ٢، ص ٢٩٩؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٣١، التجانى: المصدر السابق: ص ١٥٨؛ الوزان: المصدر السابق، ص ٨٢ .

(١٥٨)التجانى: المصدر السابق، ص ١٥٧؛ ابن قنفذ: الفارسية، ص ١٦٧.

(١٥٩)التجانى: المصدر السابق، ص ١٤٢. J ; Pelissier, Description, p. 131-132 Despois, Le Sahel et la Basse Steppe. P. 86 ; Mas-Latrie, Traites de paix., p. 224.

(١٦٠)التجانى: المصدر السابق، ص ١٥٧ .

(١٦١)التجانى: المصدر السابق، ص ٢٠٦ .

(١٦٢)ابن بطوطة: رحلة، ص ١٩؛ البرزلى: جامع، ج٢، ص ١٦٠ .

(١٦٣)التجانى: المصدر السابق: ص ٢١٤، ٢١٦ .

(١٦٤)نفس المصدر: ص ٢٠٨.

(١٦٥)البرزلى: المصدر السابق، ص ١٧٩ .

(١٦٦)التجانى: المصدر السابق، ص ١١٤؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٤١٣ .

(١٦٧)البرزلى: المصدر السابق، ص ١٥٧ .

(١٦٨)التجانى: المصدر السابق، ص ١١٤ ،١٧٢ .

(١٦٩)البرزلى: المصدر السابق، ج٣، ص ٦٣؛ محمود اسماعيل: سوسيولوجيا – طور الإنهيار – ص ٦٦.

(١٧٠)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ١١٦، ١٤٩؛ ج٧، ص ٢-٤، ٤٤٤، ٤٤٥ .

(١٧١)ابن ناجى: معالم، ج ٤، ١٦٩ .

(١٧٢)البرزلى: جامع، ج٣، ص ٣٦، ٤١ ب .

(١٧٣)ابن ناجى: المصدر السابق، ص ١٢١؛ البرزلى: المصدر السابق، ج١، ص ٣٨ أ، ٢٨٣ ب؛ الونشريسى: المعيار، ج٧، ص ٢٤٢ – ٢٤٧ .

(١٧٤)التجانى: المصدر السابق، ص ٢١٧ .

(١٧٥)ابن خلدون: المصدر السابق، ج ٦، ص ٨١.

(١٧٦)البرزلى: المصدر السابق، ص ٢٨٣ ب، ابن ناجى: المصدر السابق، ص ١٢١، ١٦٣.

(١٧٧)نفس المصدر: ص ١٦٩، ٢٠٩، ٢٤٤؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ٧٤ – ٨٧؛ Brunschvig. R, les Hafsides, T1, P.3011.

(١٧٨)ابن ناجى: المصدر السابق، ص ١٥٠، ١٥١، ١٧٠، ١٧٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٢؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ٥٦.

(١٧٩)ابن ناجى: المصدر السابق، ص ٥٢ – ٥٨، ٦٩ .

(١٨٠)التجانى: المصدر السابق، ص ٢١٢، ٢١٣ .

(١٨١)الدباغ: الأسرار الجلية، ج٢، ص ١١٥؛ ابن عرفة: المصدر السابق، ج٤، ص ٣ .

(١٨٢)البرزلى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٠ أ .

(١٨٣)التجانى: المصدر السابق، ص ١٢٢، ٢١٠؛ جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ص ٢٣٧.

(١٨٤)البرزلى: المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١، ٢٨٣؛ ابن عرفة: المصدر السابق، ج٢، ص٨٥ .

(١٨٥)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص ١٠٣؛ الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص ٧٨- ٨١

(١٨٦)محمود اسماعيل: المرجع السابق، طور الإنهيار، ص ٩٧ .

(١٨٧)ابن خلدون: المصدر السابق، ص ١٤١، ١٤٢؛ جورج مارسيه: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(١٨٨)العبدرى: رحلة، ص ٦٤، ٨٨ ، ٨٩ .

(١٨٩)المراكشى: المصدر السابق، ص ٤٤ .

(١٩٠)ابن خلدون: المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٠ – ٤٩٧ .

(١٩١)نفس المصدر: ص ٥١١ .

(١٩٢)نفس المصدر: ص ٥١٢ – ٥١٤، ٥١٥ – ٥١٨ .

(١٩٣)التجانى: المصدر السابق، ص ٤٣، ٥٢، ١٠٠ – ١٠٢؛ مقديش: نزهة الأنظار، ج٢، ص ٣١٤ ،٣١٥؛ رسائل موحدية: رسالة ٢٦، ص ١٥٢ –١٥٤ .

(١٩٤)التجانى: المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٢ .

(١٩٥) إنتشرت بعض الأساطير بين بدو بنى سليم؛ فيذكرون أن سهيلاً كان رجلاً يُعشر الناس أى يأخذ عُشر أموالهم، وكذلك الضب، وأنهما كانا مكّاسين على تجار البر والبحر، فمسخهما الله عقوبة لهما، وجعل أحدهما نجماً فى السماء والآخر حيواناً فى الأرض. كما كانوا يزعمون أن طلوع سهيل يسبب موت الإبل ووقوع الوباء فيها، فلأجل ذلك تكرهه وتستدبره. وقد سأل التجانى أعراب بنى سليم عن هذا الأمر، فقالوا: "لا نعلم له تأثير فيها إلا أن طلوعه عندنا أمان للأبل المغشوشة من الموت، والغش داء معروف عندهم، وقالوا: فما لم يمت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده". يلاحظ من خلال هذه الرواية أن أعراب بنى سليم كانوا على دراية بعلم الطب البيطرى؛ وعلى دراية بميعاد فصل الحوران من أمهاتها ومنعها من الرضاعة. ولعل هذا يفسر سبب كراهية الإبل لسهيل. نفس المصدر: ص ٦٣، ٦٤؛ بوخالفه عزى: تغريبة بنى هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة الجزائر ٢٠٠٣م، ص ٣٩، ٦٢ – ٧٠.

(١٩٦)البرزلى: المصدر السابق، ج٣ ص ٣٧؛ الداودى "أبو جعفر": كتاب الأموال، الرباط، (د.ت)، ص ١٦٤، ١٦٥

(١٩٨)البرزلى: المصدر السابق، ج ٣، ص ٤١؛ ابن ناجى: معالم ، ج ٤، ص ١٢١.

(١٩٨)البرزلى: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨٥، ج ٢، ص ١٥١.

(١٩٩)نفس المصدر: ج٢ ص ٤٣، ١٤٨، ١٥٤ .

(٢٠٠)التجانى: المصدر السابق، ص ١٣٢؛ الونشريسى: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٣٦

(٢٠١)التجانى: المصدر السابق، ص ١٨٠، ١٨١، ١٨٨، ١٨٩ .

(٢٠٢)سعد غراب: موقف الفقهاء والمغاربة من المجموعة الريفية، وهران ١٩٨٣ م، ص ٨٤

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: المخطوطات


- البرزلى ( أبو القاسم بن أحمد البَلَوِي القيرواني الشهير بالبُرْزُلِي): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس، رقم ٤٨٥١ – ٥٣٧١ – ٥٤٩٢ .
- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن): الأسرار الجلية فى المناقب الدهمانية، مخطوط المكتبة الوطنية تونس رقم ١٧٩٤٤ .
- المغيلى المازونى (أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي): الدرر المكنونة فى نوازل مزونة، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم ١٣٣٥.


### ثانياً: المصادر العربية


- ابن الأثير (أبو الحسن على):

–الكامل فى التاريخ، الناشر دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٨٦م .

- الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحموى الحسنى المعروف بالشريف الإدريسى)

–كتاب نزهة المشتاق فى إختراق الأفاق، عالم الكتب، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م .

- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتى)

–رحلة ابن بطوطة، دار الكتاب اللبنانى (د.ت) .

- التجانى ( أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد ):

–رحلة التجانى، تقديم حسن حسنى عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ١٩٨١م .

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف)

–النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، مطابع كوستا تسوماس، القاهرة "د.ت" .

- ابن حزم (أبو محمد على بن سعيد):

–جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م .

- الحميرى (محمد عبد المنعم الحميرى) :

– الروض المعطار فى خبرالأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨٤م.

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبى): صورة الأرض، ، ليدن ١٩٦٧م .

- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السلمانى)

-الإحاطة فى أخبارغرناطة، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة ١٩٥٥م .

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)

-تاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٧ م.

- الداودى "أبو جعفر":

-كتاب الأموال، الرباط، (د. ت ) .

- ابن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى )

-المؤنس فى أخبار افريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٩٣م .

- الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)

-سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م .

- رسائل موحدية، نشر ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٤١ م .
- ابن أبى زرع الفاسى (أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم)

-الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط ١٩٧٢م .

-الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢ م .

- الزركشى ( أبو عبد الله محمد ) :

-تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس ١٩٦٦ م .

- السجلات المستنصرية: تحقيق عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٥٤م .
- السيوطى (جلال الدين السيوطى):

-تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدى الدمرداش، مكتبة نزار الباز، ٢٠٠٤م .

- ابن الشماع ( أبو عبد الله محمد):

-الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر المعمورى، تونس ١٩٨٤م .

- الشماخى (أبو العباس أحمد):

-كتاب السير، تحقيق محمد حسن، تونس ١٩٩٥ م.

- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك):

-تاريخ المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادى التازى، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٤م

- العبدرى (أبو عبد الله محمد بن محمد):

-رحلة العبدرى، تحقيق محمد الفاسى، الرباط، ١٩٦٨ م .

- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشى) "كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م"

-البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول والثانى والثالث نشر وتحقيق ج. س كولان وإ. ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م .

-البيان المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨٥م .

- الغبرينى (أبو العباس):

-عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، بيروت، ١٩٧٩م .

- ابن غلبون (أبى عبد الله محمد بن خليل):

-التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق الطاهر أحمد الزاوى، مطبعة الفجالة، القاهرة ٢٠٠٤م .

- القلصادى الأندلسى (أبو الحسن على):

-رحلة، تحقيق محمد أبو الأجفان، تونس ١٩٧٨م، ص ١٢٣ .

- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد الخطيب):

-الفارسية، تحقيق محمد الشاذلى وعبد المجيد التركى، تونس، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨م.

- المراكشى (محيى الدين عبد الواحد بن على التميمى المراكشى) :

-المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، القاهرة ١٩٤٩م .

- مقديش (محمود):

-نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق الزاوى ومحفوظ ' بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٨م .

- المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر)

-أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، تحقيق جمال الدين الشيال (ج١) ومحمد حلمى محمد (ج٢،٣)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٦م .

-البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، القاهرة ١٩٦١م .

-كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الطباعة المصرية، القاهرة ١٢٧٠هـ .

-المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩١م .

- مؤلف مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء ١٩٨٥م.
- ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على)

-أخبار مصر، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى، القاهرة ١٩١٩م .

-الخلفاء الفاطميون، نشر هنرى ماس، منشورات المعهد الفرنسى للأثار الشرقية، القاهرة ١٩١٩م .

- ابن ناجى (أبو الفضل أبو القاسم)

-معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، تونس ١٩٩٠م .

- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب):

-نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م .

- الوزان (الحسن بن محمد الوزان الفاسي أو ليون الإفريقي)

-وصف افريقيا، تحقيق محمد الأخضر ومحمد حجى، الرباط ١٩٨٢م .

- الونشريسى (أحمد بن محمد):

-المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨١ م.

## ثالثاً: المراجع العربية

- احسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح حتى مطلع القرن التاسع عشر، الناشر دار ليبيا، بنغازى ١٩٦٧م .
- أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية "د.ت" .
- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١م .

- الهادى روجى إدريس: الدولة الصنهاجية، تعريب حمادى الساحلى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٢م.
- إلهام حسين دحروج: مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة – كلية الآداب ٢٠٠٠م .
- أمنية فزارى: سيمائية الشخصية فى تغريبة بنى هلال، دار الكتب الحديثة ٢٠١١م .
- بوخالفه عزى: تغريبة بنى هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة الجزائر ٢٠٠٣م .
- جيهان مصطفى حسين: إقليم قسطيلية من الغزوة الهلالية وحتى نهاية الدولة الحفصية، رسالة دكتوراة، كلية الآداب جامعة عين شمس ٢٠٠٩.
- جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية "د.ت" .
- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة ١٩٩٧م .
- راضى دغفوس: دراسات فى التاريخ العربى الإسلامى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ٢٠٠٥م .
- روزلين ليلى قريش، سيرة بنى هلال، الجزائر ١٩٨٨م .
- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى، منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٩٨م .
- سعد غراب: موقف الفقهاء والمغاربة من المجموعة الريفية، وهران ١٩٨٣ م .
- عبد الحميد أحمد طه: ملحمة بنى هلال بين الماضى والحاضر، القاهرة ٢٠٠٧م .
- عبد الحميد يونس: الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الدراسات الشعبية (د. ت).
- عبد الرحمن بن زيد السويداء: الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٨٨م.
- عبد الرحمن فيفة: من أقاصيص بنى هلال، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م .
- عبد الكريم أحمد طه إبراهيم: ملحمة بنى هلال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٧م .
- عبد الله عبد الرحيم عسيلان: العباس بن مرداس السلمى، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٩٧٨م .

- عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٤م .
- عز الدين موسى: النشاط الإقتصادى فى المغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨٣ م .
- عفيفى محمود عفيفى: الأحوال السياسية فى مدن إفريقية، القاهرة ١٩٨٤م .
- على محمد الصلاتى: الدولة الفاطمية العبيدية، مكتبة الإيمان ، المنصورة ٢٠١٠م.
- محمد الحجرى: ابن شرف، بيروت ١٩٨٣م .
- محمد الهادى الشريف: تاريخ تونس، تعريب محمد الشاوش، دار سراس للنشر، تونس ١٩٩٣م .
- محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية، تونس ١٩٩٩ م
- محمد المرزوقى: أبو الحسن الحصرى، مكتبة المنار، ١٩٦٣م .
- محمد الهادى العامرى: تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون، تونس ١٩٧٤ .
- محمد سليمان الطيب: موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربى، القاهرة ٢٠٠١م .
- محمد عبد الله عنان: تاريخ دولة الإسلام فى عهد المرابطين والموحدين، بيروت ١٩٦٨م.
- محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامى –طور الإنهيار– دار سينا للنشر، القاهرة ٢٠٠٠م.
- محمود اسماعيل: تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة ٢٠١٤ م .
- منى حسن أحمد محمود: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، دار الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م .
- نبيلة حسن محمد: الآثار السياسية والإجتماعية للغزو الهلالى، القاهرة "د.ت" .


رابعاً: المراجع الأجنبية


- Agilar Sebastien, V, Aportacion de Los Arabes Nomades a la organisacion mititar de ejercito Almohade, Al–Qantara. XIV, 1993.
- Anita Baker , Wadran, a key to an enigma, Arabica, 1984, Fasc. 2.
- Babaker A., Les Relations entre le Tchad et l'Ifriqiya, D. R. A. , Tunis 1992 .
- Berque J, Du nouveau sur les Bani Hilal, Studio Islamica, TXXX VI,1972.

- Brett M, Arabs Berbers and holymen in Southern Ifriqiya, In c.t., 1981.
- Brett M, Sijial AL-Mastansir, Actes du Ler congress d'Histoire du Maghreb, Tunis 1975.
- Brunschvig. R, La Berberie Orientale sous les Hafsides , Paris. 1940.
- Despois J, La Tunisie Orientale, Le Sahel et la Basse Steppe, Paris 1955.
- Kably M, Societe, pouvoir et Religion au Maroc a la fin du moyen-age, Paris 1986.
- Laroui A, Histoire du Maghreb, Essai de synthese, Paris 1970.
- Marcais G., Les Arabes en berberie du XI au XIV s. Constantine – Paris 1913 .
- Mas-Latrie, Traites de paix et de commerce.. Paris 1865.
- Pelissier, Description de la Regence de Tunis, Tunis 1980.
- Pringle, The Defense of Byzantine Africa From Justinian to the Arab conquest, Part 1 , Oxford 1981.
- Soucek S., Tunisia in Kitab -1-Bahriya By Piri – Reis, Culumbia 1970 .